الاغتراب الديني
تجلياتهُ في شعر صدر الإسلام

د. خالد معيوف محمود
جامعة تكريت - كلية التربية
قسم علوم القرآن

بِسْمِ اللهِ الرَحْمَنْ الرَحِيمْ

المقدمة :

أ . الاغتراب في الموروث اللغوي.

١. الغَرْبُ والمَغْرِبُ بمعنى واحد: خِلافُ الشرق. والغُروب: غيوب الشمس. المُغَرِّبُ: الذي يأخذ في ناحية المَغْرِبِ.غَرَّبَ القوم: ذهبوا في المَغْرِبِ؟.تغرَّبَ أتى من قبل الغرب.

٢. الغَرْبُ: الذهاب والتنحي عن الناس.وقد غَرَبَ يَغْرُبُ غَرْباً، وغَرَّبَ، وأَغْرَبَ، وغرَّبَهُ، وأَغْرَبَهُ: نحاه. وفي الحديث: أن النبيﷺ أمر بتَغْرِيبِ الزاني سنةً إذا لم يُحْصن؛ وهو نفيه عن بلده.

٣. الغَرْبَةُ والغَرْبُ: النّوَى والبُعد. غَرَّبَ في الأرض، وأَغرب: إذا أمعن فيها.غَرْبَةُ النوى: بُعدُها.

٤. والغُرْبَةُ والغُرْبُ: النزوح عن الوَطَن والاغْتِرابُ.تَغَرَّبَ واغْتَرَب، وقد غَرَّه الدهر، ورَجُلٌ غُرُبٌ وغَرِيبٌ: بعيد عن وطنه[١] .

ب . الاغتراب اصطلاحاً[٢] :

إنَّ استعراض البحوث المُتعلقة بمصطلحِ الاغتراب يُظهِرُ تنوع استعمالهِ وتعدد معانيه، والواقع أن بعض هذه المعاني يعاني من الغموض معاناة تنتفي معها قيمتها العلمية، فكثير من الباحثين حملوا هذا المصطلح معنى انعدام السلطة، والانخلاع، والانفصام عن الذات، والاستياء أو التذمر والعداء، والعزلة، وانعدام المغزى في واقع الحياة، والإحباط وغير ذلك من

المعاني، وأن بعض هذه الفروق في المعنى قد تكون ثانوية وهامشية ما دام المضمون الجوهري يظهر فيها جميعاً على نحو ما.

والملاحظ أنّ الجانب المعرفي لهذا الاصطلاح قد تعرضَ لتحليل مسهب، ولا يزال الباحثون المعاصرون يحاولون تشخيص دلالته، ومما يسهمُ في تشتت معانيه واستعماله من قبل غير المختصين، وفي المجالات غير العلمية استعمالاً يغلبُ عليه الطابع الذاتي والعاطفي، لا يبرز في تعريفات المعاجم اللغوية الأجنبية المختلفة، وقد استهوى مفهوم الاغتراب عدداً من الفلاسفة والمفكرين القدامى أمثال (وماس هوبز وجان جاك روسو ونيتشه وشيلر وهيجل).

والاستعمال الآخر لمصطلح الاغتراب يأتي في سياق (العزلة) وهو أكثر ما يستعمل في وصف وتحليل أثر المفكر أو المثقف، الذي يغلب عليه الشعور بالتجرد، وعدم الاندماج النفسي والفكري بالمقاييس الشعبية في المجتمع، ويرى بعض الباحثين في ذلك نوعاً من الانفصال عن المجتمع وثقافته، ويلاحظ أنّ هذا المعنى للاغتراب لا يشير إلى العزلة الاجتماعية التي تواجه الفرد المثقف نتيجة لانعدام التكيف الاجتماعي، وإنما يبرز في أوضاع التمرد التي تدفع الأفراد إلى البحث عن بديل للقيم التي يعتمد عليها البناء الاجتماعي لمجتمعهم.

أما الاغتراب عن النفس فيتميز عن باقي معاني الاغتراب بأنه ينطوي على شعور الفرد بانفصاله عن ذاته، وهو نمط من التجربة يرى الفرد نفسه فيها كما لو كانت غريبه عنه، فالفرد يصبح منفصلاً عن نفسه، والمقصود به في الواقع هو انفصال الفرد عن ظرف إنساني مثالي أو افتقاد المغزى الذاتي والجوهري للعمل الذي يؤديه الإنسان وما يصاحبه من شعور بالغمز والرضا والارتياح.

ولقد ورد ذكر مفهوم الاغتراب على نحو ما في الكتابات الفلسفية واللا هوتية القديمة، ويبدو أن جذور هذا المفهوم ترجع في كثير من الملاحظات، التي عرضها بعض فلاسفة الإغريق القدامى، وتبرر فكرة الاغتراب أيضاً في سفر التكوين في الدراما الإنسانية المتعلقة بخلق الإنسان وسقوطه وانفصاله المتمثل في قصة الثمرة المحرمة والخروج من جنة عدن، ومواجهة الحياة المزدوجة القائمة على الصراع الدائر بني الجسد والروح.

ويعدّ الفيلسوف الألماني هيجل من أهم الرواد الذين تناولوا موضوع الاغتراب، ويرى أن الإنسان فرد من الناحية السياسية ومع ذلك فالفردية في اعتقاده هي أحد جوانب هذه الطبيعة، والوصف الأكثر توازناً لطبيعة الإنسان في نظره، ينبغي أن ينطلق من الروح باعتبارها العامل الذي يحقق التوازن بين الفردية والعمومية أو الشمولية، فهيجل يعارض الرأي القائل بأن طبيعة الإنسان تتألف أصلاً من خصوصياته الشخصية، ويصر على أن الفهم السليم لهذه الطبيعة، ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار عقل الإنسان، فالعقل في تصوره يتجاوز الخصوصية وينطوي على حركة الفكر على مستوى شمولي، كل ذلك جعل هيجل يعلق أهمية كبرى على الشمولية والعمومية بوصفهما تُشكلان جوهر الوعي الإنساني وأساس وجود الإنسان، وهو يفهم الشمولية على أنها تطابق السلوك وما هو شامل أو عام ومن أمثلة الشمولية بالنسبة لهيجل نظام العقل.

ويلاحظ أن هيجل يستعمل مصطلح (اغتراب) استعمالاً مزدوجاً فهي في بعض معالجاته يستعمل في سياق الانفصال، وفي مواقع أخرى في بحوثه يعطيه معنى التخلي أو التنازل.

ولم يستعمل هيجل فكرة الانفصال كما استعملها المفكرون القدامى على أنها تشير إلى علاقة متحللة بين الفرد وأعضاء مجتمعه، بل استعملها على أساس أن انفصال الفرد يكون بينه وبين الجوهر الاجتماعي غير الشخصي، وهذا الاغتراب يشير إلى ما يحصل من تفاوت بين ظروف الفرد الحقيقية وطبيعته الجوهرية، الأمر الذي يقود إلى الشعور بالاغتراب الذاتي.

أما فيورباخ فيرى أن الكشف عن الاغتراب لا يتم إلا من خلال فلسفة الدين، فالاغتراب أساساً هو الاغتراب الديني، والاغتراب الديني هو أساس كل اغتراب، فلسفي أو اجتماعي، نفسي أو بدني، فإذا كان الاغتراب هو انقلاب (الانا) إلى آخر، فإن هذا الانقلاب يحدث أساساً في تحول الإنسان إلى الله قبل أن يتحول الإنسان إلى عمل أو نظام أو إلى مؤسسة أو إلى الكون.

فالاغتراب الديني هو أسهل اغتراب وأسرعه وأكثره مباشرة، فإذا ما حدث زلزال في كيان الإنسان وخلل في وجده الشرعي ظهر ذلك في اللجوء إلى الله كسند وتعويض، ففلسفة

الدين، إذن هي الميدان الذي من خلاله استطعنا أن نكشف الاغتراب. ولو أردنا الوقوف على مفهوم الاغتراب عند الفلاسفة والمفكرين في الغرب لاقتضى الأمر بحثاً طويلاً خاصاً، لأن الاغتراب مفهوم واسع، يشمل مختلف أشكال الحياة الاجتماعية والثقافية، وهذا لا يتسع له مجال بحثنا[٣] .

ج . الاغتراب في الإسلام:

أخذ الإسلام بفضيلة الوسط: لا إفراط ولا تفريط، يدعو إلى الزهد في الدنيا، أي القصد في الشهوات لا الحرمان، واعتزال الدنيا ومن فيها وما فيها، يدعو إلى التمتع بالحلال، لا الانهماك في الحلال والحرام، لأن الإسلام قبل كل شيء وبعد كل شيء دين عملي واجتماعي كما في قال تعالى: ﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾ [٤] .

وعلى ذلك يكون الاغتراب بالمعنى الإسلامي اغتراباً عن الحياة الاجتماعية الزائفة الجارفة واغتراباً عن النظام الاجتماعي غير العادل، فالغرباء قاوموا الحياة ومغرياتها مقاومة إيجابية فقهروا السلطتين معاً سلطة الحكام، وسلطة النفس بترويضها على الطاعات والمجاهدات واعتزالها الناس فحل النظام الروحي الداخلي الذي يشيع في النفس الشعور بالأمن والأمان، محل النظام السياسي الخارجي الذي أدخل الرعب والخوف في قلوب المسلمين، بعد أن تفشت بينهم فتنة الشهوات وفتنة الشبهات.

إما فتنة الشبهات، فقد بدأت مع أول معصية في معارضة إبليس النص والاستبداد بالرأي، فقد رفض السجود لآدم عليه السلام، ((وكانت تلك الشبهة التي بدأت مع أول معصية هي أصل كل شبهة وضلالة وقعت في الملل ولديانات والنحل))[٥] فهي ((بالنسبة؟ أنواع الضلالات كالبذور، يرجع جملتها إلى إنكار الأمر بعد الاعتراف بالحق، وإلى الجنوح إلى الهوى في مقابلة النص، هذا ومن جادل نوحاً وصالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً وموسى وعيسى ومحمداً صلوات الله عليهم أجمعين .كلهم نسجوا على منوال اللعين الأول في إظهار شبهاته))[٦] وعلى ذلك فقد جاءت الملل والنحل كما يقول الشهرستاني محاكية لتلك الشبهات

الأولى ((فالمعتزلة غالوا في التوحيد حتى وصلوا إلى التعطيل بنفي الصفات، والمشبهة قصروا حتى وصفوا الخالق بصفات الأجسام والروافض غالوا في النبوة والأمامة حتى وصولوا إلى الحلول والخوارج قصروا حيث نفوا تحكيم الرجال، وأنت ترى أن هذه الشبهات كلها ناشئة من شبهات اللعين الأول، وتلك في الأول مصدرها، وهذه في الآخر مظهرها))[٧] .

ويرى أهل السنة أن هنالك قضايا خافية منها قضية الحكمة من الخلق والتكليف يقف الإنسان أمامها حائراً، وليس أمامه إزاء تلك الحيرة إلا التسليم والاستسلام والكف عن السؤال لقوله تعالى: ﴿لا يسأل عما يفعل﴾ [٨] .

أما في أمور الحياة والدنيا فالإنسان مكلف بإعمال العقل، فالعقل هو الذي يحكم على صحة الإسلام وصحة الإيمان، ثم أن العقل هو مناط التكليف لقوله عليه السلام: ((رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل))[٩] ويميز الإسلام بين مستويات ثلاثة: المسلم والمؤمن والعالم، فالفرق بين المسلم والمؤمن يتوضح في قول الله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا ولا يدخل الإيمان في قلوبكم﴾[١٠] وفي حديث عن الرسولﷺ: ((أن جبريل ـ عليه السلام ـ جاءه وسأله ما الإسلام؟ فقال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، تصوم شهر رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، ثم سأله ما الإيمان؟ فقال عليه السلام أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خَيره وشره))[١١] فالإسلام جاء بمعنى الاستسلام وحقيقته الإقرار باللسان والعمل بالجوارح بينما الإيمان هو التصديق القلبي الباطني فدرجة المسلم أدنى من درجة المؤمن، أما درجة العالم فأعلى الدرجات جميعاً، والشواهد على ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو وأولوا العلم﴾ [١٢] .

فبدأ سبحانه وتعالى بنفسه، وأثنى على الملائكة وجاء أهل العلم بعد الملائكة، وقال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين آتوا العلم درجات﴾[١٣] .

فدرجة العلماء فوق درجة المؤمنين[١٤] ، وهذه الدرجات الثلاث تقابلها درجات ثلاث من الاغتراب: اغتراب المسلم بين الناس، واغتراب المؤمن بين الناس، واغتراب العالم بين المؤمنين، فلقلة المسلمين وانفرادهم بين الناس بالإذعان والانقياد سموا غرباء ولقلة المؤمنين

بين المسلم وانفرادهم بالتصديق الصحيح سموا غرباء، ولقلة العلماء بين المؤمنين وانفرادهم بأعمال الفكر والعقل للحكم على صحة الإسلام وصحة الإيمان سموا غرباء.

الاغتراب الديني

يتفرد صدر الإسلام بأنه عصر شهد نقله حضارية كبيرة في زمن وجيز، تغيرت فيه أولاً العقيدة الدينية من الجاهلية إلى الإسلام ثم انطلق العرب من صحرائهم حاملين لواء دينهم الجديد ليفتحوا البلاد، وليغيروا خارطة الدول في المنطقة كلها ثم ليستوطنوا تلك البلاد الجديدة التي تختلف عن بلادهم في طبيعتها ونظام معيشتها وتقاليد مجتمعاتها، مع تباين تراثها الحضاري.

ولاشك أن تلك التغيرات هزت نفس العربي هزاً عنيفاً ويستطيع الدارس لهذا العصر أن يتخيل ما أصاب النفس العربية عموماً من تنازع بين الماضي والحاضر والموطن القديم والبلاد الجديدة وما تفرضه الفتوحات والهجرة من تماس مع شعوب لها تاريخ وتراث وعادات لا توافق تاريخ العرب وتراثهم وعاداتهم، مما فرض على العرب أن يشهدوا تحولات في تلك القيم جميعها، فضلاً عن السرعة الكبيرة التي جرت بها الأحداث، فغيرت وجه التاريخ والمجتمع الإنساني القديم في سنوات قليلة ولم تدع للنفس العربية زمناً تتكيف فيه وتلك الأوضاع الجديدة.

ومما لاشك فيه أيضاً، أن تلك الاضطرابات التي انتابت النفس العربية من توزع وحنين ورضى وعزة، والتي انتابت الفكر العربي من الأخذ بالدين الجديد وثقافته، فضلاً عما اطلع عليه من علوم البيئات الجديدة، كان لابد لها من أن تجد طريقها إلى النتاج الأدبي شعره ونثره، ولاسيما أننا نعرف أن العرب لم تكن لتدع أمراً من أمور الحياة إلا سجلته في نتاجها الأدبي في العصر الجاهلي.

المبحث الأول
اغتراب العرب أول عهدهم بالإسلام

اندلعت ظاهرة الاغتراب في أشكال جديدة مع ظهور الإسلام، ذلك لأن الإسلام دفع بالعربي دفعاً داخل الجزيرة العربية حاملاً تعاليم الدين الجديد إلى العالم كله، وقد جعل الإسلام كل مكان يقف المسلم فيه موطناً، ومنه جاء مصطلح (مواطن مكة) في أول الأمر، بل يمكن القول أن الإسلام أضعف فكرة الوطن والتعصيب لها، كما أضعف فكرة العصبية القبلية، حين جعل الدين نفسه وطناً حقيقياً للمسلم، وفي الوقت نفسه ساعد على حدوث كآبة ذهني وبدنية بسبب الغياب عن الوطن والحنين إليه، ولاسيما حين تعرض المهاجرون لعدد من الأمراض بسبب اختلاف البيئة، وبسبب العجز عن التلاؤم والمواطن الجديدة، ومرض المكيين في المدينة مشهور وقد بشر الرسول ﷺ الصابرين على بلواء المدينة بقوله ﷺ: ((من صبر على شدتها ولأوْائِها كنتُ له شفيعاً يوم القيامة))[١٥] .

وقد عرف الخوف أثناء التنقل والهجرة طريقه إلى المسلم الذي كتب عليه الترحل والهجرة في البلاد، بل أصبح الإنسان العربي يؤرخ بالهجرة باعتبارها أهم حدث إسلامي، وكان لهذا الانقلاب الديني الذي مس حياة العرب من الوجوه جميعها، الروحية والاجتماعية والسياسية، أثره المحقق في حياة الشعر والشعراء، فقد وقف في الصفوف المقابلة شعراء مكة والطائف يردون عليهم ويحمسون قومهم ضد الرسول ودعوته، ولم تكن قلة تعرف الشعر في الجاهلية، ولكن هذا الانقلاب الروحي الخطير إتاحة الفرصة لكي يظهر فيها شعراء[١٦] .

ومن يرجع إلى سيرة ابن هشام يجد كثيراً من الشعر العربي، قالته قريش، وقاله المسلمون في إحداث غزوة بدر وفي إحداث غزوة أحد، وفي الغزوات التي تلتها، ومن ذلك (خبر غزوة الرجيع)[١٧] ففي السنة الرابعة للهجرة وبعد غزوة أحد، قدم على رسول اللهﷺ رهط من عضل والقارة[١٨] ، فقالوا: يا رسول الله أن فينا إسلاماً، فابعث معنا نفراً من أصحابك في الدين، ويقرئوننا القرآن، ويعلموننا الإسلام، فبعث رسول اللهﷺ وأنه معهم نفراً من الصحابة وهم مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت، وخبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، وعبد الله بن طارق، وأمر رسول اللهﷺ على القوم مرثد بن أبي مرثد، فخرج مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع[١٩] ، غدروا بهم، وقالوا لهم: ما نريد قتلكم، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً

من أهل مكة، ونعاهدكم ألا نقتلكم، فأما مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت، فقد رفضوا وقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً، فقال عاصم بن ثابت:

ما عِلّتي وأنا جلدٌ نابِلُ[٢٠] والقوسُ فيها وترٌ عُنابِلُ[٢١]

تزل عن صَفحتها المعَابِلُ[٢٢] الموتُ حقٌ والحياةُ باطلُ

وكل ما حَمَّ الإلهُ نازِلُ[٢٣] بالمرء والمرء إليه أيلُ[٢٤]

ثم قاتل القوم حتى قتل وقتل صاحباه وأما زيد بن الدثنة، وخبيب بن عدي وعبد الله بن طارق، فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة، فأعطوا بأيديهم فأسروهم، ثم خرجوا بهم؟ مكة ليبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بالظهران[٢٥] ، انتزع عبد الله بن طارق يده من حبله، ثم أخذ سيفه، واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه، وقدموا بزيد بن الدثنة وخبيب بن عدي إلى مكة فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة.

وأما زيد بن الدثنة فبتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف، وبعث به مع مولى له إلى التنعيم[٢٦] ليقتله بعيداً عن الحرم، واجتمع رهط من قريش، فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قُدِّم ليقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإن جالس في أهلي! فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً!

ثم خرجوا بخبيب قاصدين التنعيم ليصلبوه، فقال وهو يشاهدهم وهم يحضرون العمود ليصلبوه عليه:

لقد جمَّع الأحزاب حولي وألَّبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمعِ[٢٧]

وكلهم مبدي العداوة جاهد علي لاني في وثائقٍ بمضيعِ

وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم وقُرِّبت من جذعٍ طويل ممنعِ

إلـــى الله اشـــكو غربتـــي ثـــم كربتـــي وما أرصد الأحزابُ لي عند لي عند مصرعي[٢٨]

وذلـــك فـــي ذات الإلـــه وأن يشـــأ يبـــارك علـــى أوصـــال شـــلو ممـــزعِ[٢٩]

وقـد خيـر وفـي الكفـر والمـوت دونـه وقـد هملـت عينـاي مـن غيـر مجـزعِ

ومـا بـي خـدار المـوت وإنـي ليـت ولكنْ خداري جَحم نـار ملفع[٣٠]

فـــوالله مـــا أرجـــو إذا مـــت مســـلماً علـى أي جنـب كـان فـي الله مصـرعي[٣١]

فلســـت بمبـــدٍ للعـــدو تخشـــعاً ولا جزعـــاً إن إلـــى الله مرجعـــي

ثم قال لهم: إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا: قالوا: دونك فاركع فركع ركعتين ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا إني لما طوّلت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال: اللهم إنا قد بلّغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا! ثم قال: اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحدا.

لقد ذكرنا القصة كاملة لنبين اغتراب هؤلاء المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا ما جاء به، وكانوا قلةً غرباء بين قوم أقاموا على عددهم وكفرهم وجبروتهم، وينطبق على هؤلاء حديث لرسول اللهﷺ الذي أشرنا إليه في تمهيد بحثنا فهم في اغترابهم عن إجماع قومهم على الكفر يضحون بأرواحهم ويبذلون حياتهم رخيصة، وهم في حبهم للرسولﷺ لا يرضون أن يمسه الأذى ولو كانت حياتهم لعافيته وسروره، وقد تعجب أبو سفيان من هذا الحب لأنه يعيش حالة اغترابية في بعده عن الإيمان بالله ورسوله، فلا يستطع أن يفهم ذلك التواصل الروحي العميق بين المسلمين ونبيهم وبينهم وبين دينهم، فعندما خيروا خُبيباً بين الكفر والقتل اختار الموت فداء لدينه، وابتهل إلى ربه أن يتقبل منه هذا الفداء، ويبارك جسده وأشلاءه الممزقة في ذات الله، فهو لا يخشى الموت ولا يهابه ما دام ما دام موته في سبيل الله سيقيه نار جهنم، وسيدخله الجنة التي وعد المؤمنين بها.

وتتجلى شعرية الاغتراب في النص الشعري السابق وتمنح القارئ لغة سهلة بخطاب مباشر يرقى إلى الحالة النفسية التي يمر بها كتجربة عاشها الشاعر مغترباً في حدثها عن القوم الذين أسروه وباعوه ليقتلوه بعد ان جائهم حاملاً ديناً يبشر بالخير والرحمة.

وفي حادثة أخرى يتجلى الاغتراب المعاكس للنوع السابق الذي مر بنا فعندما قرر رسول اللهﷺ فتح مكة، لقيه أبو سفيان في الطريق بين مكة والمدينة، فالتمس أبو سفيان الدخول على رسول اللهﷺ فأبى عليه وكان مع أبي سفيان بني له فقال[٣٢] : والله ليأذن أو لأخذن بيد بني هذا ثم لنذهبن في الأرض، حتى نموت عطشاً وجوعاً، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما، ثم أذن لهما، فدخلا عليه فأسلما، وأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره مما كان مضى منه:

لعمري إني يوم أحملَ رايةً ... لِتَغلبَ خيل اللات خَيلَ محمدِ

لكالمدلج الحيران أظلم ليلةُ ... فهذا أواني حين أهدى واهتدي[٣٣]

وهادٍ هداني غير نفسي ونالني ... مع الله من طَرَّدْتُ كلُ مَطَّردِ

أصُدُّ وأنأى جاهداً عن محمدٍ ... وأُدعى ولو لم انتسب محمدِ

هُمُ ما هُمُ من لم يقل بهواهم ... وإن كان ذا رأي يلم ويُفَنَّدِ

أُريد لأُرضيهم ولست بلائِطٍ ... مع القوم ما لم أُهدَ في كل مقعدِ[٣٤]

فقال رسول اللهﷺ: ويحك يا أبا سفيان ألم يئن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله! فقال: بأبي وأمي، ما أوصلك وأحلمك وأكرهك! والله فقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً، فقال ويحك يا أبا سفيان! الم يئن لك أن تعلم أني رسول الله، فقال: بأبي وأمي، ما أوصلك وأحلمك وأكرمك! أما هذه ففي النفس منها شيء، فقال العباس: فقلت له ويلك! تشهدُ شهادة الحق قبل والله أن تضرب عنقك؛ قال فتشهد.

ونلاحظ من الخبر السابق أن هذا الموقف الاغترابي لرجل زعيم في قومه، قضى سنوات طويلة في محاربة الإسلام والدفاع عن أوثان آبائه، وهاهو ذا الآن وبعد أن انتصر الإسلام، يقف موقفاً ما كان يعتقد أنه سيقفه في يوم من الأيام لقد انتصر عليه عدوه السابق، وهو الآن مضطر إلى الوقوف أمامه ليطلب الصفح والغفران، وليعترف بهزيمته، فهو في دفاعه عن اللات كان يسير في طريق مظلمة، وقد أن الأوان لكي يخرج من ظلامه وغيه، ولاسيما بعد أن انتصر عليه الذي كان قد طرده وهجره من وطنه، انتصر عليه ذلك اليتيم المستضعف الذي ما كان ليعترف بقرابته، ويلقي باللائمة على قومه الذي أغروه به، ويغمز من طرفي خفي أنه ما كان في داخله ليوافقهم على رأيهم في محاربة الإسلام لولا خوفه أن يلوموه ويفندوا رأيه ولكنه وجد أخيراً أن محاربة الإسلام الإرضاء كفار قومه أوصلته إلى ما أوصلته إليه، ومن متابعة الخبر نجد تأكيداً لموقفه الاغترابي يعترف بأن إلاههُ لو كان له وجود لاستطاع أن ينصره وأن يغني عنه شيئاً، ولكنه يعرب عن عدم قناعته بعد بنبوة الرسولﷺ وأكد بقوله أنه لا زال في نفسه شيء يمنعه من تصديق نبوة ابن عمه ولولا الخوف من أن تضرب عنقه ما تشهد. وكان نصه الشعري الاغترابي يتخذ من اللغة السهلة ـ أيضاً ـ سبيلاً لحمل مضمونه والحالة الاغترابية التي يمر بها الشاعر تَبينُ بوضوح لا تحمل أية مواربة أو كناية فالنص الشعري الاغترابي هو موقف نفسي واجتماعي لا يقبل إلا باللغة المباشرة.

ولما دخل رسول اللهﷺ مكة فاتحاً هرب عبد الله بن الزبعري[٣٥] السهمي إلى نجران، ثم رجع إلى رسول اللهﷺ فقال حين أسلم يمدح الرسول ويعتذر إليه[٣٦] :

يـــا رســـول المليـــك إن لســـاني ... راتـــق مـــا فتقـــت إذ أنـــا بُـــورُ[٣٧]

إذ أُبـــاري الشـــيطان فـــي ســـنن الغـــ ... يِّ ومـــن مـــال ميلـــه مثبـــورُ[٣٨]

آمـــن اللحـــم والعظـــام لربـــي ... ثـــم قلبـــي الشـــهيد أنـــت النـــذيرُ

إن مـــا جئتنـــا بـــه حـــقُ صـــدق ... ســـاطع نـــوره مضـــيء منيـــرُ

أذهـــب الله ضِـــلّةَ الكفـــر عنـــا ... وأتانـــا الرخـــاء واليســـورُ

ونلاحظ في هذه الأبيات أيضاً الموقف الاغترابي للشاعر فقد كان معروفاً بهجائه للمسلمين، وبتحريض الكفار عليهم، وله شعر في غزوة أحد[٣٩]، وهاهو ذا الآن يهرب مهدور الدم بعد فتح مكة، ثم تضيق عليه بما رحبت، فلا يحد مهرباً من رسول اللهﷺ إلا إليه، فيرجع طالباً الأمان، معتذراً مما كان قد بدر منه من قول أو فعل، عندما كان الشيطان صاحبه، فكاد أن يؤدي به إلى التهلكة، وهو في أبياته يعد الرسولﷺ بأنه سيدافع عن الإسلام، وسيرتق الفتق الذي أحدثه وهو على كفره وجاهليته.

ونلاحظ من جهة أخرى أن طبيعة الألفاظ في الأبيات تبتعد عن لغة الغريب والحوشي من الألفاظ، كما يمكننا أن نعد هذا الشعر خطوة متميزة، في لغته ومضمونه النفسي.

وهنالك حوادث أخرى حدثت في حياة الرسولﷺ تنم عن الاغتراب الدينين فقد كان الشعراء المشركون يهجون الرسولﷺ ويهجون أتباعه، وكان هذا الأمر يؤلم رسول اللهﷺ فعندما فتح مكة أهدر دماء هؤلاء الشعراء، ومنهم كعب بن زهير، وعبد الله بن الزبعري، وهبيرة بن أبي وهب وغيرهم، وكان من قصة كعب بن زهير[٤٠] أن أخاه بجبير بن زهير بن أبي سلمى قد أسلم، فأشتد عليه أهله، وأرادوه أن يعود إلى دينهم، وكان كعب بن زهير وهو أخوه لأبيه وأمه شديداً عليه وقال فيه شعراً يهجوه ويهجو الرسولﷺ[٤١]:

ألا أبلِغَا عنِّي بُجيراً رسالةً ... فَهْل لكَ فيما قلت بالخيف[٤٢] هل لكا

شربت مع المأمون[٤٣] كأساً دويةً ... فنهلك المأمون منها وعَلَّكَا

على خُلُقٍ لم تُلْفِ أماً ولا أباً ... عليه ولم تردك عليه أخاً لكا

فلما بلغت هذه الأبيات مسامع النبيﷺ أهدر دمه وقال: من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله[٤٤].

فقد كان كعب بن زهير وهو على كفره يعجب من دخول أخيه دين الإسلام، بل يخاف عليه عاقبة الخروج من دين آبائه، فكعب في اغترابه بالابتعاد عن دين الإسلام يخاف من اغتراب أخيه في تركه دين آبائه وأجداده، وهو في تعامله مع المجهول والخوف من ردة فعل

الآلهة في تصوره أن تعاقب أخاه أو تؤذيه يقف خائفاً وحائراً، لأن أخاه في اعتقاده قد خالف أسباب الهدى عندما دان بالإسلام، واغترب عن دين الأوثان، ومن يتأمل في الأبيات السابقة يجد المفارقة واضحة بين تسمية المشركين للرسولﷺ بأنه المأمون والأمين ومحاربة الدين الذي جاء به، فكيف يوقنون بأنه أمين وصادق، ثم يكذبونه بما جاءه من الوحي، هذه المفارقة تشكل أفضل صورة للاغتراب الديني، لأن الانتماء الديني ضرورة فطرية روحية.

وعندما يبتعد الإنسان عن المعتقدات الدينية التي تربى بها وآمن بها، لابد أن يشعر باغتراب ذاته، فهو في قرارة نفسه يخشى ما سيحدث آنفاً، وقد تجلى هذا الشعور عند أولئك الذي كلفهم النبيﷺ بأن يهدموا الأوثان، فقد خاف أبو سفيان من اللات كما أشرنا سابقاً.

المبحث الثاني
الاغتراب في الردّة عن الإسلام

ذكرنا في أول البحث أن كثيراً من أعراب البادية بنجد واليمن لم يتأثروا بعد بالإسلام، ولم تزك أنفسهم الزكاة المطلوبة، وقد بين القرآن ذلك بقوله تعالى: ﴿قالت الأعرابُ آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾[٤٥] فهذه كانت حالتهم، خضوع في الظاهر، والقلوب لم يتمكن منها الدين، ومن ثم رأوا أن موت الرسولﷺ فرصة يتخلون بها عن الفروض الإسلامية، خصوصاً ما كان منها في المال كالزكاة، ومنهم فريق قام فيها دعاة يدعون إلى أنفسهم مدعين أنهم أنبياء فلبوا دعوتهم وبذلك كانوا فريقين فريقاً امتنع عن أداء الزكاة، وفريقاً اتبع المتنبئين ورفض الدين كله.

فكانت عزيمة أبي بكر الصديق خليفة رسول اللهﷺ وأن صادقة في حرب هؤلاء الذين خرجوا من الدين وحاربوه، بعد دخلوا فيه مع ما يعلمه من الانتفاض الذي كاد أن يكون في عامة الأعراب، ولكن صدق عزيمته ذلك الصعاب المحتملة كلها.

وكان جيران المدينة من عبس وذبيان قد ارتدوا عن الإسلام واجترؤوا على المدينة يريدون أن مهاجمتها، فخرج إليهم أبو بكر فيمن معه من الجند وحرس المدينة، فاقتتل جنده مع بني عبس فهزم العبسيون، وأخذ الحطيئة الشاعر أسيراً، ويعد الحطيئة خير من يمثل الأعراب، إذ كان أحد من سارعوا إلى الردة، وهجا أبا بكر في أبيات يقول فيها[٤٦]:

ألا كـــل أرمـــاح قصـــار أذلـــةٍ فـــداءً لأرمـــاح زُكِـــزْتَ علـــى الغمـــرِ[٤٧]

فـــإن الـــذي أعطيـــتهم أو منعـــتهم لكـــالتمرِ أو أحلـــى لخلـــفِ بنـــي فهـــرِ[٤٨]

فباســـت بنـــي عـــبس وأفنـــاءِ طـــيء وباســـت بنـــي دُودان حاشـــا بنـــي نصـــرِ[٤٩]

فـــدى لبنـــي ذبيـــان أمـــي وخـــالتي عَشِـــيَةَ يُحـــدى بالرمـــاح أبـــو بكـــرِ[٥٠]

أطعنـــا رَسُـــولَ الله إذ كـــان صـــادقاً فيـــا عجبـــا مـــا بـــالُ ديـــن أبـــي بكـــر[٥١]

ليورِثهـــا بكـــراً إذا مـــات بعـــده فتلـــك وبيـــت الله قاصـــمةُ الظهـــرِ

أبـــو غيـــر ضـــرب يجـــثم الهـــام وســـطه وطعـــن كـــأفواه المُزَقَقَـــةِ الحُمـــرِ[٥٢]

فقومـــوا ولا تعطـــوا اللئـــام مقـــادةً وقومـــوا وإن كـــان القيـــام علـــى الجمـــرِ[٥٣]

ولعل موقف الحطيئة الاغترابي هذا يعود إلى الشكل الاجتماعي الذي ولد فيه وإلى شكله الذي خلقه الله تعالى عليه، ((فقد لقب بالحطيئة لقصره ولدمامته، وقد ولد لأمَةٍ تسمى الضراء، كانت لأوس بن مالك العبسي، ونشأ في حجره مغموزاً في نسبه، وجعله ذلك قلقاً مضطرباً منذ أخذ يحس الحياة حوله، وزاد في اضطرابه وقلقه ضعف جسمه وقبح وجهه، إذ كانت تقتحمه العيون، ولم يكن فيه فضل شجاعة يستطيع أن يتلافى به هو أن شأنه في «عبس» على نحو ما صنع عنترة من قبله ومن ثم نشأ يشعر بغير قليل من المرارة ولعل هذا هو السبب في غلبة الهجاء عليه))[٥٤].

وكان ممن قدم المدينة على رسول اللهﷺ وأنه ليعلن إسلامه بعد فتح مكة، غير أن بعد إسلامه تعاظمت في نفسه مشاعر الاغتراب، لأنه ابتعد عن المعتقدات التي تربى ونشأ عليها، وكان في طبعه البدوي الجلف يأنف الخضوع لسلطة تجمع العرب وتلغي الأعراف القبلية، لذلك نراه عندما أتيحت له الفرصة بعد وفاة الرسولﷺ سارع إلى الردة، بل وأعان بشعره المرتدين ضد أبي بكر وخلافته، فأكد مزاعم المرتدين بأنهم قد أعطوا الزكاة للنبيﷺ على اعتبار أنه رجل منتصر فرض عليهم إتاوة، وكان يقبضها منهم، وهم يعتبرونها دنية وذلة، ولكن

ذلك الرجل قد مات وجاء بعده أبو بكر فهل يرضون لأنفسهم أن يستمر أبو بكر، باستعبادهم وقبض الإتاوة منهم، وهو يقول لهم في أبياته السابقة بأن أيام الذل قد انتهت، وبأن المال الذي كانوا يعطونه للنبيﷺ هو حق لأولادهم، ويشتم قبائل عبس وطيء ودودان، لأنهم أعطوا الزكاة وارتضوا الدنية، ويحرضهم على قتال أبي بكر، إذ لا يحق له أن يتابع سيرة الرسولﷺ ويحذرهم من أنهم لو أطاعوا أبا بكر فإنه سيأتي يوم يدينون بالطاعة لابنه بكر وهذا الأمر يقصم الظهر، لهوله وشدته، ويشدد تحريضه لقومه على حرب المسلمين وعلى ألا يسلموا لهم قيادهم، ولو كانت هذه الحرب فادحة الثمن صعبة، صعبة، فالموت أسهل من أن يؤدوا الزكاة رغم أنوفهم؟!

ونلاحظ من خلال الأبيات السابقة، أن الحطيئة يحاول من جانب آخر، أن يغطي على شعوره بغربته النفسية بين قومه، وما خلفته في نفسه من مرارة لأنه كان مغموزاً في نسبه بينهم، وكانت تقحمه العيون، فهو يحاول أن يأخذ مكاناً رائداً في قومه من خلال تزعمه لفكرة الارتداد عن الإسلام، وكأنه يأخذ حيزاً من الأهمية عند قومه إضافة إلى ما كان يسعى جاهداً إليه من خلال هجائه وبذاءة لسانه.

وكان بعض قبيلة سليم بن منصور قد انتقض فرجعوا كفاراً، وثبت بعضهم على الإسلام مع أمير كان لأبي بكر عليهم، يقال له معن بن حاجز، أحد بني حارثة، وقد كان فيمن لحق من بني سُليم بأهل الردة أبو شجرة بن عبد العزى السلمي وهو ابن الخنساء، فقال حين أرتد عن الإسلام[٥٥]:

صحا القلب عن مَيّ هواه وأقصرا ... وطاوع فيها العاذلين فأبصرا
وأصبح أدنى رائدِ الجهل والصِّبا ... كما ودها عنا كذلك تغيَّرا
وأصبح أدنى رايدِ الوصل فهمُ ... كما حبلُها من حبلنا قد تبسَّرا
ألا أيها المدلي بكثرة قومه ... وحظك فهم أن تُضام وتقهرا
سل الناسَ عنا كلَّ يوم كريهةٍ ... إذا ما التقينا: دارِ عينَ وحُسَّرا
ألسنا نعاطي ذا الطماح لجامهُ ... ونطعن في الهيجا إذا الموت أمّضرا

وعاضـــرةٌ[٥٦] شـــهباءُ تَخْطِـــرُ بالقنـــا تـــرى البلـــق فـــي حافاتهـــا والسَّـــنَوَّر[٥٧]

فرويـــت رمحـــي مـــن كتيبـــة خالـــدٍ وإنـــي لأرجـــو بعـــدها أن أُعَمَّـــرا

ولا يبتعد أبو شجرة عن الحطيئة في معاني قصيدته التي قالها أثناء ارتداده عن الإسلام، فهو يرى أن كثرة قومه لن تفيده ما دام وهو فيهم يعاني الضيم والقهر، ومع أنهم كانوا في الجاهلية أبطالاً وفرساناً، فإنهم بخضوعهم واستسلامهم لسلطان الدين الجديد قد باؤوا بذل وهوان، ولكنهم الآن وقد انتفضوا لقتال المسلمين يعودون إلى سابق أمجادهم وبطولاتهم، وهو يفتخر بأنه سيقاتل المسلمين، يعودون إلى سابق أمجادهم وبطولاتهم، وهو يفتخر بأنه سيقاتل خالداً وينتصر عليه، ثم أنه سيعمر بعد ذلك طويلاً لأن وهم القوة التي تصاحب خالداً، لا يمكن أن تؤثر في يقينه بأنه سيغلبه وينتصر عليه، غير أنه كان مخطئاً، فقد تمكن خالد بن الوليد من هزيمتهم، ووجد أبو شجرة نفسه وهو يعود ليعلن إسلامه من جديد على أن إسلامه ما كان ليرقى إلى مرتبة الإيمان، إذ بقي طول حياته من غير أن تتمكن أحكام الدين الجديد في الرسوخ في وجدانه، فقد جاء المدينة زمن عمر بن الخطاب، وكان عمر يعطي المساكين من الصدقة، ويقسمها بين فقراء العرب، ((فقال: يا أمير المؤمنين أعطني فإني ذو حاجة، قال: ومن أنت؟ قال: أبو شجرة بن العزى السلمي، قال: أبو شجرة! أي عدو الله الذي تقول:

فرويـــت رمحـــي مـــن كتيبـــة خالـــدٍ وإنـــي أرجـــو بعـــدها أن أُعمـــرا

ثم جعل يعلوه بالدرة في رأسه حتى سبقهُ عَدْواً))[٥٨] ، فمضى أبو شجرة إلى ناقته، فارتحلها راجعاً إلى أرض بني سليم، وقال[٥٩]:

صَـــنَّ علينـــا أبـــو حَفْـــصٍ بِنائِلِـــهِ وكـــلُّ متخـــبطٍ يومـــاً لَـــهُ وَرَقُ

مـــا زال يُرْهِقُنـــي حتـــى خَـــذِيتَ لـــه وحـــال مـــن دون بعـــض الرغْبَـــةِ الشـــفق

لمـــا رهبـــت أبـــا حفـــصٍ وشُـــرْطَتَهُ والشـــيخُ يفـــزعُ أحيانـــاً فينحمـــقُ

ونلاحظ على نحو واضح عدم رسوخ أحكام الدين الإسلامي في نفس هذا الشيخ فهو يقول: لئن بخل علينا بالعطاء، فإن هذا الوضع وإن لم يكن لدينا من ينصرنا، وكان لديه الجيوش والشرط آني ومؤقت، فالشجر عندما يُضرب لتسقط أوراقه لا يلبث أن تنبت أوراقه من جديد، وعندما يعود إلى سابق عهده من القوة والمنعة فهو يهدد من طرف خفي بأنهم لابد أن تعود أمجادهم الجاهلية القديمة، وعندئذ سينتقم لذلك الخزي الذي لحقه عندما علاه عمر بن الخطاب بالدرة حتى اضطر للهروب من وجهه خوفاً منه ومن شرطته، وهو شيخ كبير، يخاف أن تصدر منه حماقة لا تحمد عقباها.

فأبو شجرة لا يزال يعيش حالة اغترابية نتيجة عدم رسوخ أحكام الدين الجديد في نفسه، ونتيجة تعلقه بأمجاده الجاهلية، وشعوره بتسلط الحكام المسلمين، فيحاول أن يقهر غربته بأن يحلم بعوده أمجاده السابقة، ولكن هيهات أن يعود مجد قد ولى لزمانه.

المبحث الثالث

الشعور بالاغتراب بفعل عدم رسوخ أحكام الدين الجديد:

يظهر أن عدم رسوخ أحكام الدين الإسلامي في نفوس العديد من البدو كان يقض مضجعهم فهم ما استطاعوا أن يطوروا أنفسهم لينسجموا والظاهر المدنية الإسلامية، من النواحي الاجتماعية والسياسية والدينية، ولعل الشاعر الحطيئة خير مثال على عدم تمكن أحكام الدين الجديد من نفوس البداة، مما جعلهم يعيشون حالة اغترابية عن مجتمعهم ومفاهيمه وأحكامه، فقد ذكرنا سابقاً أن الحطيئة كان يعاني مركب نقص في شكله وبنسبة جعله يعيش الاغتراب عن مجتمعه وقبيلته، مما حداه أن يلجأ إلى الهجاء، يعوض هذا النقص وليشعر أفراد قبيلته بأهميته فيهابوا جانبه، وقد حققت له بذاءة لسانه مكاناً مرموقاً في مجتمعه، فكان الناس يخشون لسانه فيكرمونه ويبذلون له العطاء درءاً لمكانتهم الاجتماعية ولأعراضهم عن هجائه، إلا أن الإسلام قد جاء محارباً أن يؤذي بعض الناس بعضاً، مما جعل الهجاء يخف بين الناس، فقد وقف الهجاء بين المدينة ومكة، وبينها وبين العرب، فقد دخلوا جميعاً في دين الله، وإذا تركنا المدينتين الكبريتين في الحجاز إلى نجد وفيافيها، التقينا بشعراء الأعراب، وكان منهم نفر لم يتعمقهم الإيمان، وخير من يمثلهم الحطيئة[٦٠] .

وقد شدد عمر بن الخطاب(رض) على الشعراء ومنعهم من التهاجي، وهددهم بالعقوبة إن عادوا إلى الهجاء، ولكن الحطيئة لا يستطيع أن يقلع عن الهجاء وكيف يقلع عنه وهو مصدر رزقه، ومصدر إكرامه بين الناس، فلو انقطع لسانه عن الهجاء لما اهتم به أحد من الناس، لأنهم قد أمنوا شروره، لذلك فقد عاد إلى هجاء الناس متمرداً على أوامر الخليفة ونواهيه، وقصة هجائه الزبرقان بن بدر معروفة، وكان الزبرقان استعدى عليه عمر بن الخطاب لأنه هجاه بقوله: ((واقعد فإنك الطاعم الكاسي)) قال عمر(رض): ما آراه قال لك بأساً، قال الزبرقان: سل حسان بن ثابت فإن لم يكن هجاني فلا سبيل لي عليه، فقال حسان، لقد هجاه وأقبح به. فحبسهُ عمر بن الخطاب فقال الحطيئة وهو محبوس[٦١]:

ماذا تقول لافراخٍ بذي مَرَخٍ[٦٢] حُمْرِ الحواصلِ[٦٣] لا ماءٌ ولا شجرُ

ألقيتَ كاسِبَهُمْ في قَعْرِ مظلمةٍ[٦٤] فاغفر عليك سلامُ الله يا عمرُ

أنتَ الأمينُ الذي من بعد صَاحِبِهِ ألقيت إليك مقاليد النُّهى البَشَرُ

لم يؤثروك إذ قدموكَ لها لكن لأنفسهم كانت بك الخيرُ

فرق له عمر بن الخطاب(رض) وأطلقه، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم، ولكنه يحتاج إلى مال من جديد، ولا يجرؤ أن يمدح أو يهجو واحد من الناس، فيخاطب أمير المؤمنين بقصيدة يلخص فيها نظرته إلى حاله وحال الناس من حوله فيقول[٦٥]:

يا أيُّها المليك الذي أمست له بصرى وغزة سَهْلُها والأجرعُ

ومليكها وقسيمها[٦٦] عن أمره يعطي بأمرك ما تشاء ويمنعُ

اشكو إليك فأشكني[٦٧] ذريةً لا يشبعون وأمهم لا تشبَعُ

كثروا علي فما يموتُ كبيرهم حتى الحساب ولا الصغير المُرْضَعُ

وجَفَاءَ مولايَ[٦٨] الضَّنِينِ بماله وولوعَ نفس هَمُّها بي مُوزَعُ[٦٩]

والحرفُـــة القُـــدامى وأَنّ عشـــيرنا ... زَرَعُـــوا الحُـــرُوث وأننـــا لا نَـــزْرَعُ

فَبُعِثـــتَ للشـــعراء مَبْعـــثَ داحِـــسٍ ... أو كالبســـوسِ عِقَالَهـــا تتكـــوعُ[٧٠]

ومَنَعتنـــي شَـــتْمَ البَخيـــلِ فلـــم يَخـــفْ ... شـــتمي فأصـــبح أمنـــاً لا يفـــزعُ

وأخـــذَتَ أطـــرار الكـــلام فلـــم تَـــدَعْ ... شـــتماً يضـــرُ ولا مـــديحاً ينفـــعُ

وبُعِثـــتَ للـــدنيا تجمـــع مالهـــا ... وتَصُـــرُ جزيتهـــا ودأبـــاً تجمـــعُ

ومنعـــت نفســـك فضـــلها ومنحتهـــا ... أهـــل الفعـــال فأنـــت خيـــر مولـــعُ

حتـــى يجـــيء إلـــيكم علـــجٌ نـــازحٌ ... فيصـــيبُ عَفْوَتهـــا وعبـــث أوكـــعُ[٧١]

والعيلـــةَ الضـــعفى ومـــن لا خَيْـــرُهُ ... خيـــرٌ ومـــثلهم غُثـــاءٌ[٧٢] أجمـــعُ

أم زَعَمْـــتَ لُهـــم وماتـــت أُمُّهُـــمْ ... فـــي عهـــد عـــادٍ حـــين مـــات التُبّـــعُ

فلتوشـــكنَّ وأنـــت تـــزعم أُمُهُـــمْ ... أن يركبـــوك بِـــثِقلِهِمْ أو يرضـــعوا

وأرى الـــذين حَـــوَوْا تـــراث مُحمـــدٍ ... أفَلَـــتْ نجـــومُهُمُ ونجمـــك يســـطعُ

ونراه في أبياته الرائية السابقة يستعطف عمر بن الخطاب(رض) بما يعلمه من تأثره بهذا النوع من الكلام، فهو يعيل أولاداً صغاراً لا كاسب لهم سواه ولا يوجد عندهم وفر يستطيعون العيش به، وكان قد قال قبل هذه الأبيات قصيدة لامية[٧٣] يمدح فيها عمر بن الخطاب(رض) ليخرجه من السجن حتى قال أبياته الرائية السابقة، وفي البيت الثالث من تلك الأبيات إشارة مهمة إلى أن الناس في عهد عمر(رض) ما كانوا ينسبون مقاليد الخلافة إلى الله تعالى، وإنما كانوا ينسبونها إلى البشر، فالبشر هم الذين يقلدون الخليفة مقاليد السلطة. وأبيات الحطيئة العينية، تعبير واضح عن عدم رسوخ أحكام الدين الإسلامي في وجدانه فهو يبدؤها بمخاطبة عمر بن الخطاب(رض) على أنه ملك ملك الدنيا، وقعد على المال يوزعه بأمره لمن

يشاء ويمنع من يشاء، وهذا أمر بعيد عن الواقع، وهو فهم خاص بالشاعر الذي لم يفهم الأسس والقواعد التي وضعها الإسلام في توزيع الأموال، وما كان له أن يفهم أن عمر بن الخطاب (رض)لا يشبه الملوك في شيء ولا ينطبق عليه هذا الوصف أبداً، ولكن الشاعر في اغترابه عن القيم الإسلامية التي سادت ذلك العصر ما استطاع أن يرى في عمر(رض) إلا السلطة الأمر والنهي من غير أن يلقي بالاً إلى القوانين والأنظمة التي كان تقيد تلك السلطة وتوجهها وفق الأسس والشرائع الإسلامية.

ثم ينتقل الحطيئة إلى الشكوى من العيال وكثرتهم، وإلى الشكوى من العشيرة وبخلها، وإلى الشكوك من نفسه المتحفزة المتطلعة التي لا تريح صاحبها بقناعة ولا قبول، وهذا كله مألوف عند الحطيئة ناتج من تمزق نفسه بين واقعها المرير كما أشرنا سابقاً وتطلعها إلى المجد والسؤدد، لتغطية مركب النقص الذي عانى منه طول حياته.

وقد استفحل الأمر لديه وتنامى شعوره بالنقص عندما جاء هذا الخليفة ((والملك كما يراه)) بشؤمه على الشعراء كشؤوم داحس على عبس وذبيان وكشؤوم البسوس على بكر وتغلب، فقد منع الشعراء من الهجاء والمديح، فقطع رزقهم وما عاد أحد يطمع في مديحهم فيجزل لهم العطاء، أو يخاف من هجائهم فيشتري فهم عرضه.

وينتقل الحطيئة إلى بيت القصيد في عقدته، فهو يستغرب كيف يجمع عمر المال من زكاة وجزية، ويدأب في تحصيله له، ثم يحرم نفسه من التنعم به فيعيش عيشة متقشفة، فهو يبخل على نفسه ولا يتوانى عن توزيع هذه الأموال على الفقراء والمساكين، والمؤتلفة قلوبهم، والعبيد والضعفاء، ومن لا شأن لهم ولا خطر يخشى منهم، وهذا أمر غريب عند الشاعر، فهو يعلم أن المال يأخذه السادة الأقوياء الذين تهاب سلطتهم أو الشعراء الذين يرتجى منهم المديح أو يخشى منهم الهجاء، أما هؤلاء الحثالة في المجتمع، كما يسميهم الحطيئة فلما يعطيهم المال؟! هل هو أمهم أو ناصرهم؟ والحطيئة يعلم بأن لا أم لهم ولا ناصر ولا معين من عهد عادٍ، فهم منذ الأزل يضربون ويُهانون ويعانون الجوع والتشريد ولا نصير لهم، والآن قد جاء من يمنع المال عن السادة ويعطيه للعامة من الناس، وهذه المفارقة التي ما استطاع الحطيئة أن يفهمهما جرته إلى أن يختم أبياته بأن يتوقع لهذا الخليفة وهو على تصرفه هذا، أن يأتي يوم

يَلقى فيه الويل من هؤلاء الذين برهن وأحسن إليهم، والحطيئة هنا لا يفهم أن عمر بن الخطاب(رض) ما كان يبغي عرض الدنيا من أعماله، وإنما كان يبغي رضوان الله تعالى ونبيه.

ونختم حديثنا عن الحطيئة بخبر يؤكد زعمنا أنه مثال للأعراب الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم، والذين عاشوا حياتهم وهم يعانون الاغتراب الديني نتيجة رسوخ أحكام الدين الإسلامي في وحدانهم، ((فقد قيل للحطيئة حين حضرته الوفاة: اوصِ، فقال: أبلغوا أهل الشّماخ أنه أشعر العرب، قيل: اتق الله فإن هذا لا يرد عليك فأمضِ.

فقال المال للذكور من ولدي دون الإناث، قيل اتق الله واوصِ. فقال:

قد كنت أحياناً شديد المعتمد

قد كنت أحياناً على الخصم الألد

قد وردت نفسي وما كادت ترد[٧٤]

وقيل له اوصِ للمساكين، قال قد أوصيت لهم بالمسألة، قيل له اعتق غلامك يساراً، قال هو عبد ما بقي من بني عبس رجل على الأرض))[٧٥].

ونلاحظ أنه وهو على فراش الموت لا يزال غريباً عن تعاليم الدين الإسلامي، رافضاً أحكامه في توزيع الميراث، ولا زالت العزة الجاهلية أخذه بكل ما أخذه، ولا يريد أن يكون من المتصدقين على المساكين، كما أنه لا يريد أن يكون من المحسنين فيعتق عبده، وفي الأغاني إضافات على الوصية تدل على تمسكه بفحشة وبذاءة لسانه.

ويبرز الشعور بالاغتراب أكثر مما يبرز نتيجة عدم رسوخ الدين الجديد في نفس العربي عندما يحن إلى الجاهلية ويبكي أيامها وأهلها، ويذكرها بلوعة وحسرة وأسى لأنها تشكل له مجداً قديماً قد اندثر، ولعل النماذج الشعرية التي تندرج تحت هذا النوع قد أهملت، لأنها تسبب على نحو ما حرجاً في روايتها، وهنالك أبيات للشاعر تميم بين أُبي مقبل[٧٦] في الحنين إلى الجاهلية والبكاء عليها وقد كان ابن أُبي بن مقبل جافياً في الدين، وكان في الإسلام يبكي أهل الجاهلية، ويذكرها فقيل له أتبكي أهل الجاهلية وأنت مسلم؟ فقال[٧٧]:

أَجـــدِّي أرى هـــذا الزمـــان تغيَّـــرا وبطـــن الرَّكـــاءِ مـــن مَـــوالىَّ أَقْفَـــرَا[٧٨]

وكـــائِنْ تـــرى مـــن مَنْهَـــلٍ بـــادَ أهلُـــهُ وعِيـــدَ علـــى معروفِـــهِ فتنكَّـــرا[٧٩]

أتَـاهُ قَطـا الأجبـابِ مـن كـل جانـبٍ فنقّرفـــي أعطائـــه ثـــم طيـــرا[٨٠]

أَلهفـــي علـــى عِـــزٍّ عزيـــزٍ وَظِهْـــرَةٍ وَظِـــلٍّ شـــباب كنـــت فيـــه فـــأدبرا[٨١]

ولهفـي علـى حَيَّـيْ حُنيـفٍ كِلَيْهِمَـا إذا الغيـث أمسـى كـابي اللـون أغبـرا[٨٢]

ومـــاليَ لا أبكـــي الـــدِّيارَ وأهلهـــا وقـــد حلهـــا رُوّاد عَـــكٍّ وحمِيْـــرَا[٨٣]

تُـــذَكِّرُني حَيَّـــيْ ضـــعيف كِلَيْهِمَـــا حمـــامٌ تَـــرادَفْنَ الرَّكِـــيَّ المعـــوَّرا

فـــإن بنـــي قينـــانَ أصـــبح سَـــرْبُهُمْ بِجَرعـــاءِ عـــبس آمنـــا أن يُنَفَّـــرَا

فهو في أبياته السابقة يندب حظه العاثر الذي أطال عمره لكي يرى تغير الزمان، ولكي يغيب عنه أحبابه وأصدقاؤه ويتركوا مواطن الصبا، وتصبح تلك المواطن مقفرة من أهلها، إما بالهجرة عنها أو بالموت.

وهو كلما تلّفت حوله وجد الكثير من المناهل التي كان أهله وأصحابه ومعارفه يعيشون حولها، ويلتقون في فسحاتها لقد انمحت آثار تلك المناهل ولم يعد باستطاعته أن يتعرف عليها وهو في بكائه على الماضي إنما يبكي على أهل الجاهلية وعلى أيامهم، التي تمثل عنده أيام العز التي ذهبت إلى غير رجعة، فقد جاءت قطا الأجباب (كناية عن المسلمين) من كل حدب وصوب لكي يهدموا أركان تلك المناهل ويحدثوا فيها تغييراً كبيراً، فهو يذكر الإسلام ويكني عما أحدثه من تغيرات في الأعراف والتقاليد، إذ تغيرت المفاهيم والقيم السائدة أيام الجاهلية، وكم من عزيز في الجاهلية أصبح ذليلاً وكم سيد مشهود له بالمنعة والعزة أصبح من عامة الناس، وأصبح الفضل والعز لا ناس ما كان لهم ذكر في الجاهلية، وبقدوم الإسلام فقد الشاعر صولته ومكانته الكبيرة في قومه، وفقد أعوانه من شباب القبيلة التي كانوا يضربون بسيفه بدافع الانتماء القبلي، بل أن الإسلام قد قوض أركان الانتماء القبلي كما ذكرنا سابقاً.

وجعل من نفسه محوراً لانتماءات كلها، فالشاعر في موقفه الاغترابي يبكي انتماءً وشباباً وصحبةً ومنعةً وعزةً كانت الأعراف القبلية في الجاهلية تسبغها عليه، فجاء الإسلام والأيام معه فخسر بقدومهم كل شيء كان يضفي الحياة والبهجة والسرور عليه، فقد ذهبت أيام الرخاء والسرور، الأيام التي كان بين قومه وأصدقائه، وجاءت أيام الشدة والجدب والأحزان، فلم يعد أمامه سوى أن يقف على أطلال الماضي. ليبكي بحرقة تلك الديار التي كانت عامرة بأهلها، وقد غادروها وحل أقوام غرباء فيها، فلم يعد الوطن وطناً ولا الديار دياراً، لقد جاءت قبائل عك وحمير من اليمن ليستوطنوا تلك الديار تحت راية الإسلام، الذي أعطى الأمان للضعفاء الذين ما كانوا ليستطيعوا المرور من غير أن يدفعوا حياتهم ثمناً لذلك أيام الجاهلية، لقد أصبحوا يرعون أبلهم في أرض عبس وهم آمنون، لا يلتفتون إلى موازين القوى السابقة التي كانت تسود المنطقة، لأن الإسلام قد أعطاهم الأمان، من فتك أصحاب الديار السابقين وبطشهم، فالشاعر هنا لا يستطيع التلاؤم أو الانسجام نفسياً مع هذه المعايير الجديدة التي أصبحت تسود طبيعة التعامل بين القبائل في الجزيرة العربية.

وهو في أبياته هذه يعاني حالة الفقد فقد الشباب، وفقد معه كل شيء جميل عاشه في ظل أمجاد قومه وما عاد أمامه سوى التذكر والبكاء.

المبحث الرابع

الاغتراب والشعور بابتعاد الناس عن الدين الحنيف:

منذ بيعة العقبة الثانية أخذ الأنصار عهداً على رسول الله ﷺ ألا يتركهم ويرجع إلى قومه إن أظهر الله تعالى دينه، فقال رسول الله ﷺ: ((بل الدّم الدّم، الهدّم الهدّم[٨٤]! أنتم أمتي وأنا منكم، أحارب من حاربتهم وأسالم من سالم))[٨٥] وبعد فتح مكة أكد الأنصار هذا العهد، بعد أن خافوا أن يبقى رسول اللهﷺ في مكة، ثم دخل العرب في دين الله أفواجاً، فأسلموا، ثم تعمق الإيمان في قلوبهم، ولاسيما أولئك الذين كانوا يسكنون المدينة، إذ كان رسول اللهﷺ بين ظهرانيهم، يقرأ عليهم القرآن، ويعلمهم أصول دينهم، وكان الأنصار يشعرون بالأمان بوجود رسول اللهﷺ بينهم، ولكن الأمر اختلف حين وفاة الرسولﷺ فقد شعر الأنصار باليُتم والفقد،

وكان حسان بن ثابت[٨٦]، خير من عبر في شعره عن هذا الفقد، وهو في غمرة حزنه، إذ اعتبر أن فقد رسول اللهﷺ هو فقد للدين الحنيف، فقد قال في رثاء رسول اللهﷺ[٨٧]:

نَبِّــت المســاكين أنَّ الخيــرَ فَــارَقَهُم ... مــع النبــي تــولى عــنُهُم سَــحَرَا[٨٨]

مــنْ ذا الــذي عنــدَهُ رحْلــي وراحِلَتــي ... ورزقُ أهلــي إذا لــم يؤنِسُــوا المطــرا[٨٩]

أم مــنْ نُعاتِــبُ لا نَخْشَــى جَنَادِعَــهُ ... إذا اللِّســانُ عَتَــا فــي القَــوْلِ أو عَثَــرَا[٩٠]

كــان الضــياءَ وكــان النــور نَتْبَعُــهُ ... بَعــدَ الإلــه وكــان الســمعَ والبصــرَا

فليتنــــا يــــومَ وَارَوْهُ بملحَــــدِهِ ... وغَيَّبُــوهُ وألقــوا فوقَــهُ المَــدَرا[٩١]

لــمْ تيــرُكِ اللهُ مِنــا بَعَــده أحــداً ... ولــم يُعــيِشْ بَعَــدهُ أنثــى ولا ذَكَــرَا

ذَلَّــتْ رقــابُ بنــي النجــارِ كلِّهِــم ... وكــان أَمــراً مِــنْ آمْــرِ اللهِ قَــدْ قُــدِرا

فقد المسلمون بفقدهم النبيﷺ الخير والأمان والسلام والقلب الرؤوم الذي يسع بحلمه وكرمه ونبل صفاته ما زلّت به الألسن والأقدام، فقدوا بفقده النور الذي يهديهم في الظلمات، والسمع والبصر، بل فقدوا معنى الحياة فلا طعم للحياة بعده.

لقد خاف المؤمنون على مصير الإسلام بعد فقدهم النبيﷺ، ولكن الله تعالى هيأ لدينه رجالاً يقودون المسلمين على هدي كتاب الله وسنة نبيهﷺ فجاء أبو بكر الصديق خليفة لرسول اللهﷺ، ثم جاء عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من بعده، وتمتَدُ يد أبي لؤلؤة المجوسي الآثمة لتطعن إمام العدل، وتُفجع المسلمون بفقد الفاروق، ولكن الذي يعزيهم أن إمامهم قد قُتل بيد مجوسية ولم يقتل بيد مسلمة، ولعل في الرثاء الذي قيل في فضل عمر بن الخطاب ما يدل على معاني الفقد، ومن ذلك أبيات لَجزْء بن ضرار[٩٢] تنساب فيها العاني بحزن وخشوع وانكسار، وهي معاني مفعمة بالشعور بالاغتراب يقول:

جــزى الله خيــراً مــن إمــامٍ وباركــت ... يــدُ اللهِ فــي ذاكَ الأديــمِ الممــزَّقِ[٩٣]

فمن يَسْعَ أو يركبْ جَنَاحَيْ نعامةٍ ليدرك ما حاولتَ بالأمسِ يُسبَقِ

قضيت أمور ثم غادرت بعدها بوائِقَ في أكمامِها لم تُفَتَّقِ[٩٤]

ولكن الذي كان المسلمون يخافونه حصل، فقد كانت الفتنة الكبرى التي كُتب لها أن تبقى إلى يوم الدين . تلك الفتنة التي حصلت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان، لقد قتل بيد المسلمين، وهنا أنتاب المسلمين حالة من الاغتراب، لقد خالف المسلمون تعاليم دينهم وسفكوا بأيديهم دماء خليفتهم، لأنهم نقموا عليه أشياء ما كان عمر بن الخطاب يفعلها، ولأنهم قد عاشوا حالة اغترابية عما كانوا قد ألفوه من تصرفات الرسولﷺ، ومن تصرفات صاحبيه اللذين جاءا بعده، لقد عاش عامة المسلمين آنذاك تلك التغييرات التي حصلت في المجتمع الإسلامي، من عسف الولاة وجورهم واستئثارهم بأموال بيت المال، ومن بروز التفاوت بين العامة والخاصة، ومن تولي أقرباء الخليفة مقاليد الحكم، ونقموا على خليفتهم أشياء اعتقدوها خروجاً عن جوهر الدين الإسلامي، وعن جوهر سياسة الذين سبقوه، فحاول عامة المسلمين الوصول إلى الإصلاح عن طريق الحوار غير أن الفتنة تطورت إلى مقتل الخليفة الراشدي الثالث، وظن قاتلوه أنهم يُخلِّصُونَ عامة المسلمين من حالة اغترابية كانوا يعيشونها نتيجة اعتراضهم على سياسة إدارة الأمصار الإسلامية إلا أنهم بقتله فتحوا باباً للفتنة التي عانى بسببها المسلمون كافة حالة من الاغتراب الديني، فقد عاش معظمهم عقدة الندم لمخالفة تعاليم الدين الإسلامي في قتل الإمام، والخوف من الشر القادم نتيجة اشتعال الفتنة بين المسلمين، بينما استثمر البعض الآخر مقتل الخليفة، وجعلوا قميص عثمان سبباً يصلون من خلاله إلى الحكم.

وهاهو ذا حسان بن ثابت يبكيه بأبيات، يعبر فيها عن سخطه على مخالفة قاتلي عثمان لدينهم فيقول[٩٥]:

أتركتُمُ غَزْوَ الدُّروبِ وراءكُمْ وغَزَوتُمُونا عند قبرِ مُحَمَّدِ[٩٦]

فَلبِئسَ هَدْيُ المسلمين هَدَيْتُمُ ولبئسَ أمر الفاجرِ المتعمِّدِ[٩٧]

وكأن أصحاب النَّبيّ عَشِيَّةً بُدْنٌ تُذَبَّحُ عندَ بابِ المسجِدِ[٩٨]

وقال حسان أيضاً[٩٩]:

قَتَلْتُم ولِيَّ الله في جوفِ دارِهِ وجِئتُمْ بأمرٍ جائرٍ غَيْرَ مُهتدي

فَهَلاّ رعيتم ذِمّةَ الله وسطكَمُ وأَوْفَيُتمُ بالعهدِ عهد محمدِ

وقال الحباب بن يزيد المجاشعي: عم الفرزدق[١٠٠]:

لقد سَفِهَ الناسُ في دينهم وخلى ابن عفان شراً طويلا

اعتبر المسلمون قتل عثمان بن عفان اعتداء على الدين الإسلامي، واعتداء على حرمة جوار النبيﷺ وابتعاداً عن الدين الإسلامي وعن هديه، وبقتله لم يَرْعَ المسلمون ذمة الله تعالى، وخانوا العهد الذي عاهدوا رسول اللهﷺ على السمع والطاعة، فقاتلوه وتارِكوه للقتل من غير حماية سواء في الجرم والخلاف.

وقال حميد بن ثور الهلالي في مقتل عثمان بن عفان[١٠١]:

إني وربِّ الهدايا في مشاعرها وحيث يُقضي نذور الناس والنُسُكُ[١٠٢]

وربِّ كل مُنيبٍ بات مبتهلاً يتلو الكتابَ اجتهاداً ليس يَتَّركُ[١٠٣]

لا أُنكرن الذي أوليتني أبداً حتى أُعدَّ مع الهلكى إذا هلكوا

إن الخلافة لمّا أُظْغِيتْ ظَعَنَتْ عن أهل يثربَ إذْ غيرَ الهدى سَلكوا[١٠٤]

صارت إلى أهلها فهم ووارثها لما رأى الله في عثمان ما انتهكوا

والهاتكي سترذي حقٍّ ومحْرَمةٍ فأيُّ ستر على أشياعهم هتكوا[١٠٥]

والفاتحي باب قُفل لا يزال به قتل بقتلٍ إلى دهرٍ، ومعتركُ[١٠٦]

إذاً، فقد عاقب الله أهل المدينة، عندما لم ينصروا عثمان، بأن ذهبت الخلافة من بلادهم، لأنهم لم ينصروه فقد شاركوا في قتله، وقد شاركوا في المعصية، وخالفوا الهدى الذي أمر به دين الإسلام، وفتحوا قفلاً لباب الفتن والقتل إلى آخر الدهر.

ثم تولى الخلافة علي بن أبي طالب(رض)، وخالفهُ طلحة والزبير، وعائشة، فنشبت وقعة الجمل بين المسلمين، وكان المسلمين قبل هذه الموقعة يخافون أن يقاتل بعضهم بعضاً، ويتأثمون لأنهم قد سمعوا عن نبيهم أن القاتل والمقتول في النار، إلا أن موقعة الجمل فتحت باب القتل والقتال بين المسلمين على مصراعيه، وبعد أن انتصر علي بن أبي طالب في موقعة الجمل، دخل حرباً أخرى مع معاوية بن أبي سفيان، الذي حشد جيش الشام، وتذرع بقميص عثمان لكي ينتزع السلطة من يد الخليفة، فكانت موقعة صفين بين الجيش العراقي وعلى رأسه الخليفة والجيش الشامي وعلى رأسه معاوية، ثم كانت خدعة التحكيم وما جَرَّتْ تلك الخدعة من الانقسامات بين المسلمين.

وقد كان من الطبيعي أن يعيش المسلمون حالة اغترابية نتيجة احتدام الحرب بينهم، وقد كانوا يعيشون سابقاً إخوة في الإسلام كالبنيان المرصوص، يشدُ بعضه بعضاً، إلا أن هذا البناء ما لبث أن تقوضت أساساته واختل انتظامه.

فعاش المسلمون اغتراباً دينياً، وبرز هذا الاغتراب في أبيات النابغة الجعدي[١٠٧]، حيث يقول[١٠٨]:

سَـــأَلْتني جَـــارَتي عَـــنْ أُمَّتـــي ... وإذا مـــا عَـــيَّ ذُو اللُّـــبِّ سَـــأَلْ[١٠٩]

سَـــأَلتني عـــن أنـــاسٍ هَلَكُـــوا ... شَـــرِبَ الـــدهرُ عَلَـــيْهم وأَكَـــلْ[١١٠]

بَلَغُـــوا المُلـــكَ فلمـــا بَلَغُـــوا ... بِخِســـارٍ وانتَهـــى ذَاكَ الأجـــلْ[١١١]

وَضَـــعَ الـــدّهْرُ عَلَـــيهِمْ بركـــةً ... فأبيـــدُوا لـــم يغـــادِرْ غَيْـــرَ فَـــلْ[١١٢]

وأَرانـــي طَرِبـــاً فـــي إثْـــرِهِمْ ... طَـــرَبَ الوالِـــهِ أو كالمُختَبَـــلْ[١١٣]

أُنْشُـــدُ النـــاسَ ولا أُنشِـــدُهُمْ ... إنمـــا يُنْشَـــدُ مـــن كـــان أَضـــلْ[١١٤]

لَيتَ شِعْرِي إذ قضى ما قَد مَضَى وتَجَلى الأمرُ لله الأَجَلّ[١١٥]

ما يَظَنَّنَّ بِنَاسٍ قَتَلُوا أهل صِفِّينَ وأصْحَابَ الجَمَلْ[١١٦]

وابنَ عَفَّانَ حنيفاً مسلماً ولُحومَ البُدْنِ لمَّا تُنْتَقَلْ[١١٧]

أينَ أمول إذا ما ظَلَمُوا أم يَبيتُون بِخَوفٍ وَوَجَلْ[١١٨]

ولَهُمْ سِيمَا إذا تُبصِرُهُمْ بَيَّنَتْ ريبَةَ من كان سألْ[١١٩]

لقد وقع المسلمون في حيرة يتساءلون ما مصير أولئك الذين قتلوا في موقعة الجمل وصفين؟ لقد قتل المسلم أخاه المسلم وهم حين يتذكرونهم يصابون بالحيرة والضياع، ويشعرون بالاغتراب الديني، فقد خالفوا تعاليم دينهم ووصايا نبيهم، ولاسيما وصيته في خطبة حجة الوداع، إذ قال ﷺ[١٢٠]: ((إن دمائكم وأموالكم عليكم حرام، إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكن هذا وكحرمة شهركم هذا))، وقال فيها أيضاً: ((فلا ترجعن بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)).

والنابغة الجعدي في الأبيات السابقة يعبر عن موقف المسلمين الاغترابي، فيعجب كيف يأكلون ويشربون بعد هذه الحوادث وبعد هذه الدماء التي هدرت بين المسلمين، إذ بلغ المسلمون المجد والملك عندما تمسكوا بدينهم، وهم الآن استحلوا المحرمات، ففقدوا ذلك المجد والملك، فكُتِبَ عليهم القتال، والناس ينظرون فلا يصدقون، فهم كالمذهولين من هول ما يرون ويسمعون، يتساءلون: ما الذي حل بالإسلام؟ وما الذي أصاب المسلمين؟ فلا يجدون من يسوغ لهم ما يجري ويعيد التوازن إلى نفوسهم المغتربة، ويصل اغترابهم إلى ذروته عندما يفكرون بانقضاء الحياة الدنيا.

وكيف أنهم سيقفون بين يدي الله تعالى ليسألهم ويحاسبهم؟ وكيف سيكون موقف أولئك الذي قتلوا المسلمين في موقعة الجمل وموقعة صفين؟ بل كيف سيكون موقف الذين قتلوا الخليفة عثمان بن عفان(رض)؟ وهو المسلم الذي حرم الإسلام قتله وحقن دمه، ولاسيما في الشهر الحرام في موسم الحج؟

ويتساءل المسلمون وهم لا يزالون في اغترابهم وحيرتهم، هل ينام الذين قتلوا؟ وسفكوا الدم الحرام كما ينام غيرهم من البشر؟ أم أن النوم لا يعرف طريقاً إلى جفونهم من خوف لقاء الله تعالى في اليوم الآخر ومن خوف حسابه وعقابه؟

ولعل الذي يسأل هذه الأسئلة يجد الإجابة حتماً، إذا أمعن النظر في وجوه أولئك الذي تورطوا في دم المسلمين، ويجد أنهم أيضاً يعانون الاغتراب، فقد خالفوا جوهر الدين الإسلامي، وهتكوا حرماته، وأباحوا دماء المسلمين، فأبتعدوا عن أوامر الله تعالى ونواهيه وكان من المحتم أن يتمكن الاغتراب في نفوسهم.

ولا نبالغ إذ قلنا: إن مقتل الإمام علي بن أبي طالب (رض) زاد حيرة المسلمين واغترابهم فقد بالغ المنشقون عن صفوف المسلمين في انغماسهم في الدم بقتل أوّل المسلمين من الذكور، وزوج ابنة رسول اللهﷺ وخليفة المسلمين الذي رأى عامة المسلمين، فيه القبول والأمان، وهاهي ذي أروى بنت الحارث[١٢١] ترثيه وتعبر عن مشاعر المسلمين واغترابهم لمقتله، فتقول[١٢٢]:

ألا يا عينَ ويَحَكِ أسْعِدينا ... ألا وابكي أمير المؤمنينا[١٢٣]

زُرِينا خَيْرَ من رَكِبَ المطايا ... وفارسَها ومن ركبَ السَّفينا[١٢٤]

ومن لبسَ النِّعال أو احتذاها ... ومن قرأ المثاني والمِئِيْنَا[١٢٥]

ولا واللهِ لا أنسى عَلِياً ... وَحُسْنَ صَلاتِهِ في الراكعينا

أفي الشَّهر الحَرام فَجَعتُمُونا ... بَخْيرِ النَّاسِ طراً أَجْمَعِينَا[١٢٦]

وقال أبو الأسود الدؤليَ يرثيه أيضاً[١٢٧]:

ألا ابلُغ معاويةَ بنَ حرب ... فلا قرّتْ عيونُ الشامِتينا

أفي شهر الصيام فَجَعْتُمُونا ... بخيرِ النَّاسِ طُراً أجمعينا

قتلتم خيرَ من ركبَ المطايا وخَيَّسَها ومَنْ ركبَ السفينا[١٢٨]

ومن لبس النِّعال ومن حَذَاها ومن قرأ المثاني والمئينا

إذا استقبلتَ وجهَ أبي حسينٍ رأيت البدرَ راق الناظرينا

لقد علمتْ قريش حيث كانتْ بأنك خيرُهم حَسَباً ودينا

ونلاحظ تشابهاً بين القصتين، لعله يعود إلى أن أحد الشاعرين قال الأبيات: ثم أخذ الآخر بعض الأبيات وأضافها إلى أبياته.

وهكذا عبر الشعراء عن مشاعر المسلمين، عند مقتل أولئك الصحابة، فلقد كانوا منارات تهديهم إلى الطريق القويم، وكان المسلمون يعرفون فضلهم وتقدمهم وجهادهم في سبيل نصرة الإسلام، كما يعرفون صحبتهم لرسول اللهﷺ، ويحسون أن وجودهم بين ظهرانيهم نوع من أنواع الأمان، وكأنهم يمثلون استمراراً لوجود الرسولﷺ بينهم، ولكنهم يفقدونهم الواحد تلو الآخر، فيتنامى شعور الفقد في نفوس المسلمين، وفي غالب الأحيان يتم هذا الشعور بفقد الصحابة الأبرار على شعور ضمني كامن في نفوسهم، يخافون فيه أن يفقدوا الدين الإسلامي، أو يتصدر المجتمع أناس لا يعملون بكتاب الله تعالى وسنة نبيهﷺ، فيبقى الإسلام في المساجد ويصبح منهج الحكم بعيداً عن تعاليم الإسلام، ولا يخضع إلا لأهواء الحكام الذين لا يتورعون عن فعل أي شيء في سبيل تثبيت دعائم حكمهم.

الخاتمة

لقد تعدد استعمال ومعاني الاغتراب فمنهم من استخدم ليدل في جانب من جوانبه على انعدام السلطة والانخلاع والانفصام عن الذات ، كما أن الجانب المعرفي قد تعرض لتحليل مسهب ولا يزال الباحثون المعاصرون يحاولون تشخيص دلالاته مما يسهم في تشتت معانية واستعماله استعمالاً يغلب عليه الطابع الذاتي والعاطفي ، ليأتي في سياق العزلة وتحليل اثر المفكر أو المثقف .

أما الاغتراب عن النفس فيتميز عن باقي معاني الاغتراب بأنه ينطوي على شعور الفرد بانفصاله عن ذاته ، ونجد إن مصطلح الاغتراب ذكر في الكتابات الفلسفية واللاهوتية القديمة .

أما الاغتراب في الفكر الإسلامي فقد نحى منحى جديد فهو اغتراباً عن الحياة الاجتماعية الزائفة واغتراباً عن النظام الاجتماعي الغير عادل كما أنه اغتراب الذات عن القيم والعادات وما كان يؤثر في نفسية العربي قبل الإسلام .

إن الاغتراب الديني جاء مع ظهور الإسلام وخاصة عند الشاعر العربي فقد شهد هذا الشاعر نقلة حضارية كبيرة في زمن وجيز تغيرت فيه أولاً العقيدة الدينية من الجاهلية إلى الإسلام لتهز كيان العربي هزاً عنيفاً وثانياً للتوزع مشاعر العربي بين الحنين إلى ما كان عليه بين أهله وقومه وبين هذا الدين الجديد .

إن الهجرة النبوية كانت بداية الاغتراب عند العربي فقد جعل الإسلام كل مكان يقف المسلم فيه موطناً ليضعف بذلك فكرة الانتماء لموطن واحد وذلك حين جعل الدين نفسه وطناً حقيقياً للمسلم .

لقد كانت هذه الانتقالة أثرها الكبير في حياة الشعراء فبدل ما كان يقف في صفوف قومه وعشيرته ليدافع عنها وجد نفسه يقف في الصفوف المقابله لشعراء مكة والطائف وبقية القبائل العربية ليظهر بذلك الغربة والانقلاب الروحي الذي أتاح الفرصة ليظهر فيه شعراء جدد هم شعراء صدر الإسلام بفكر وروح مبنية على العقائد الإسلامية .

لقد انتقل الاغتراب في صدر الإسلام إلى اغتراب نفسي ديني عقائدي من خلال تمسكهم بدينهم الإسلامي وإن كانوا قلة في ذلك الوقت .

كما نجد أن الاغتراب ظهر من خلال قصائد الاعتذار التي كانت تلقى أمام الرسول (صلى الله عليه وسلم) وذلك من خلال طلبهم الصفح والغفران والاعتراف بهزيمتهم وتقبلهم لهذا الدين ونجد هذا النوع عند الشعراء الذين هجوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتحريض الكفار عليه ثم عادوا بعد ذلك ودخلوا في الإسلام .

لقد كان لموت الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) والردّة عامل نفسي اغترابي وخاصة عند الأعراب والقبائل التي دانت بقوة السيف لهذا الدين وذلك لأن المعتقدات الإسلامية لم تكن قد تمكنت من نفوسهم ونجد هذا خاصةً عند الحطيئة .

كما أن عدم تمكن أحكام الدين الجديد من نفوس الإعراب وبعض القبائل العربية جعلهم يعيشون حالة اغترابية عن مجتمعهم ومفاهيمه وأحكامه لبرز ذلك في أشعارهم لنجد الشاعر العربي يبكي ويقف على أيامهم ومشاهدهم وذلك نتيجة لعدم رسوخ الدين الجديد في أنفسهم .

إن الشعور الذين انتابه المسلمون نتيجة التغيرات التي حصلت في المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وذهاب حكم أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وظهور بعض الولاة في الأمصار الإسلامية الذين استأثروا بأموال بيت المال وظلمهم لمن هم تحت سلطتهم أدى إلى حالة اغتراب عما كانوا قد ألفوه من تصرفات الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومن تصرفات صاحبيه الذين جاءا بعده فكان من الطبيعي ان يعيش الشاعر حالة اغترابية نتيجة احتدام الحرب بينهم وخاصة بعد فتنة مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وعلي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وما كان من أحداث وفتن بين المسلمين في ذلك الوقت .

هوامش البحث

1 . لسان العرب: باب (غَربَ).

2 . اعتمدنا في هذا التمهيد على كتاب الاغتراب: ريتشارد شاخت: ترجمة كامل يوسف حسين. وكتاب المقدمات الكلاسيكية لمفهوم الاغتراب لفالح عبد الجبار. وكتاب الإنسان والاغتراب لمجاهد عبد المنعم مجاهد. وكتاب الاغتراب في الفلسفة المعاصرة لمجاهد عبد المنعم مجاهد.

3 . استعنت في سرد هذه المعلومات عن هؤلاء الفلاسفة بكتاب الاغتراب لريتشارد شاخت، ترجمة كامل يوسف حسين، وكتاب المقدمات الكلاسيكية لمفهوم الاغتراب لفالح عبد

الجبار، وكتاب الإنسان والاغتراب لمجاهد عبد المنعم مجاهد، وكتاب الاغتراب في الفلسفة المعاصرة لمجاهد عبد المنعم مجاهد والاغتراب في الشعر الأندلسي عصري الطوائف والمرابطين لحنان أمين حيرب.

4. سورة المائدة: ,٨٨

5. الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: تحقيق : أمير علي مهنا ـ علي حسن فاعور ـ دار المعرفة ـ ط3 ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م: ٤ /٦.

6. المصدر نفسه الصفحة نفسها.

7. المصدر نفسه الصفحة نفسها.

8. سورة الأنبياء: ,٢٣

9. كتاب التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول: الشيخ منصور علي ناصف ـ دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ (د. ط) ـ ١٩٣٥م: ١/,٢١٤

10. سورة الحجرات: ,١٤

11. التاج الجامع للأصول :١/٢٤ ,.٢٥

12. سورة آل عمران: ,١٨

13. المجادلة: ,١١

14. فسر ابن مسعود الآية بقوله: (يرفع الله المؤمن العالم فوق المؤمن الذي ليس بعالم درجات). صفوة التفاسير: سماحة الشيخ محمد علي الصابوني: جامعة الملك عبد العزيز ـ دار الصابوني ـ (د . ط و د . ت)٣/,٣٢٢

15. صحيح مسلم : مسلم بن حجاج: تحقيق نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة – دار طيبة – ط١ – ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م :ص١٣٧٦ . إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي: تقديم وتحقيق بدوي طبانة – مكتبه كرياطه فوترا – سماراغ – إندونيسيا – (د. ط ود. ت): ١/,٢١٦

16 . التطور والتجديد في الشعر الأموي: شوقى ضيف: دار المعارف ـ ط الثامنة منقحة – ١٩٨٧م: ص ,١٣

17 . تهذيب سيرة ابن هشام: تهذيب: عبدالسلام هارون: مؤسسة الرسالة ـ دار البحوث العلمية – الكويت – ط١٤–١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م:ص ١٥٥ـ ١٥٩. تاريخ الطبري: مراجعة وتصحيح وضبط نخبة من العلماء الأجلاء: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – ط٤ – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م: ٥٣٨/٢ – ٥٤٢. الأغاني: أبو الفرج علي بن الحسين القرشي الأصبهاني أو الأصفهاني: طبعة دار الكتب المصرية: ط٢ـ ١٩٦٧م: ٢٢٤/٤. ٢٢٩. الكامل في التاريخ: عز الدين ابن الأثير، دار صادر ودار بيروت . بيروت – لبنان – (د. ط) – ١٣٨٦هـ. ١٩٦٦م: ١٦٧/٢ – ١٦٨.

18 . قبيلتان من الهون بن خزيمة بن مدركة.

19 . ماء لهذيل بناحية الحجاز على صدور الهدأة، والهدأة بين عسفان ومكة.

20 . الجلد: الشديد . النايل: صاحب النيل.

21 . العنابل: الغليظ الشديد.

22 . المعابل: جمع معلبة وهو نصل عريض طويل.

23 . حمه الإله: قدره.

24 . صائر وراجع.

25 . موضع قرب مكة.

26 . موضع قرب مكة، فيه مسجد عائشة، وهو ميقات من مواقيت الإحرام للعمرة.

27 . ألبوا: جمعوا.

28 . أرصدوا: أعدوا.

29 . الشلو: الجسد . الممزع . المقطع.

30 . الجحم: اضطراب النار . ملفع . يشعل من جوانبه كافة.

31. أرجو: أخاف.

32. الخبر والشعر في تاريخ الطبري: ٣/٥٠ـ ٥٣ وسيرة ابن هشام ٢/٢٦٧ والكامل في التاريخ ٢/٢٤٣ . ٢٤٤,

33. المدلج: الذي يسير ليلاً.

34. اللائط: الملصق.

35. هو أحد شعراء قريش المعدودين، وكان يهجو المسلمين ويحرض عليه كفار قريش في شعره ثم أسلم بعد ذلك فقبل النبيﷺ إسلامه وأمنه يوم الفتح، الأغاني: ١٥/١٧٩.

36. تاريخ الطبري: ٣/٦٤ . الكامل في التاريخ: ٢/٢٥٠ . شعر عبد الله بن الزبعري: ٣٦,

37. بور: هالك.

38. السنن: وسط الطريق . مثبور: هالك.

39. الأغاني: ١٥/١٧٨ . وانظر الشعر في شعر عبد الله بن الزبعري: ٣٧ . ٣٩ و٤١ . ٤٤.

40. كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني . من فحول الشعراء، وهو من المخضرمين. الأغاني: ١٧/٨١ . ٩١.

41. ديوان كعب بن زهير: ٣ . ٤ الأغاني: ١٧/,٨٦

42. الخيف: موضع قرب منى عند الجمرات، وفيه اليوم مسجد الخيف.

43. المأمون: كانت قريش تسمي النبي ﷺ والد المأمون والأمين.

44. ديوان كعب بن زهير: ٣ . ٤ الأغاني: ١٧/,٨٦

45. الحجرات: ١٤,

46. ديوان الحطيئة: ١٤٢ . ١٤٣ والحطيئة لقبّ به واسمه جرول بن أوس بن مالك بن جؤية وهو من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم ثم أرتد (الأغاني: ٢/١٥٧).

47. الغمر: ماء معروف قرب المدينة.

48. الخلف: أي الأعقاب، أراد بأن البناء بني فهر أحق بما يدفع للزكاة.

49. يشتمهم لأنهم أعطوا الزكاة.

50. يحدى: يساق.

51. الدين: الطاعة، يقول ما نطيع أبو بكر، قد أطعنا النبي ﷺ ولا نتابع أبا بكر ويرى ذلك ابنه بكر.

52. يجثم الهام: أي ضرب يندر منه الهام وهو الدماغ. المرققة: القرب.

53. أي لا تعطوا الزكاة عن رغم.

54. العصر الإسلامي: ٩٦,

55. الإصابة في معرفة الصحابة: ابن حجر أحمد بن علي الشافهي: تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض . ط١ . دار الكتب العلمية . بيروت . ١٤١٥هـ: ١٠١/٤، تاريخ الطبري: ٣٦٦/٣. الكامل في التاريخ ٣٥١/٢. ٣٥٢ معجم البلدان: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان . سنة ١٩٧٩م: ١٥٥,/٣

56. العاضرة: الناقة.

57. السنور: كل سلاح من حديد.

58. تاريخ الطبري: ٢٦٧/٣.

59. تاريخ الطبري: ٢٦٧/٣، الإصابة ١٠١/٤ . ١٠٢ . الكامل في التاريخ: ٣٥٢,/٢

60. التطور والتجديد في الشعر الأموي: ١٨,

61. ديوان الحطيئة: ١٦٤ . ١٦٥ . الأغاني: ١٨٦,/٢

62. ذو مرخ: وادي بين فداك والوابيشية، خضر . نضر، كثير الشجر.

63. حمر الحواصل: خمص الحواصل.

64. قعر مظلمة: كانت السجون في عهد عمر آباراً، وأول من بني السجن علي بن أبي طالب عليه السلام.

65. ديوان الحطيئة: ٢٣٢ . ٢٣٤,

66. قسيمها: الذي يقسم بأمر عمر.

67. أشكني: أعني على شكواي.

68. المولى: ابن العم.

69. موزع: موكل مولع.

70. يقول: كنت على الشعراء آفة وشؤوماً كداحس على عبس وذبيان، وكشؤوم البسوس على بكر وتغلب وذلك أن عمر بن الخطاب منع الشعراء من الهجاء ومنع الحطيئة فقل خوف الناس منه.

71. الوكع في الرجل: ركوب الإبهام على السبابة.

72. الغثاء: الزبد وما خلطه من ورق الشجر البالي ويقصد هنا حثالة المجتمع.

73. انظر ديوانه: ٦٩ . ٧٢.

74. ديوان الحطيئة: ٢٣٨ . ٢٣٩.

75. الأغاني: ٢/١٩٥ . ١٩٧

76. هو تميم بن أبي مقبل بن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان بن عبد الله بن ربيعة بن كعب بن عامر بن صعصعة من عوران قيس، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وعاش مئة وعشرين عاماً، عاش حتى زمن معاوية بن أبي سفيان، جعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من فحول الجاهلين، طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي: تحقيق محمود محمد شاكر . دار المدني – جدة – (د.ط) – ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م: ص١٤٣. الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: تحقيق

أحمد محمد شاكر – دار المعارف – ط٢– (د.ت): ص ٣٦٦، منتهى الطلب من أشعار العرب: محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون: تحقيق د. محمد نبيل طريفي – دار صادر – ط١ – ١٩٩٩م: ٢٩١/١.

77 . ديوان تميم بن أبي مقبل: ١٣٢، و١٤٠ . ١٤١، منتهى الطلب من أشعار العرب: ٣٦٧/١ . ٣٧٥,

78 . أجدي: بمعنى أمن الجد هذا: أي أمن الخط هذا. الركاء: واد سبرة نجد. الموالي جمع مولى وهو هنا بمعنى الصديق.

79 . كائن: بمعنى كم الخبرية، وتفيد تكثير العدد . تنكر دَرَس وأمحى فلم يعد يُعرف . وهو هنا يذكر أهل الجاهلية.

80 . أتاه أي أتى المنهل المذكور في البيت السابق. الأحباب. جمع جب وهي البئر الكثيرة الماء. أعطائه: أي أعطان المنهل وهي مبارك الإبل حول المنهل، وأحدها عطن، وهو يذكر الإسلام ويكني عما أحدثه.

81 . الظهرة: الأعوان . أدبر: أي مضى وانقضى.

82 الغيث: الكلأ الذي ينبت من ماء السماء، والكلام كناية عن زمن الشهرة والجدب حتى يذوي البنات ويغبر لونه.

83 . الرواد: جمع رائد وهو الذي يُرسَل، يتقدم القوم في طلب الكلأ ومساقط الغيث، والشاعر يبكي أهل الجاهلية ويذكرها عك وحمير: من قبائل العرب اليمنية.

84 . كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار: دمي دمك وهدمي هدمك؟ أي ما هدمت من الدماء هدمته أنا.

85 . تاريخ الطبري: ٣٦٣/٢.

86 . هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو من بني النجار، وهو فحل من فحول الشعراء، وكان أحد المعمرين من المخضرمين، عمر مئة وعشرين سنة، ستين في

الجاهلية، وستين في الإسلام وكان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبيﷺ في عصر النبوة، وشاعر اليمن حكمها في الإسلام. الأغاني: ٤/١٣٤ . ١٣٦.

87. ديوان حسان بن ثابت: ١٠٢.

88. نَبَّا المساكين: أراد نبئ.

89. الرحل مركب البعير . لم يؤنسوا المطر: إذا أصابتهم السُّنة والقحط.

90. جنادعهُ: شره . عتا اللسان: جاوز حده . عشر . كبا.

91. واروه: أحفوه . المدر: الطين العلك الذي لا يخالطه رمل.

92. وهو الشاعر الشماخ بن ضرار، من الشعراء المخضرمين من الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. الشعر والشعراء: ص١١١، الأغاني: ٩/١٥٩ . البيان والتبيين: عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ: تحقيق حسن السندوبي – ط١ – مصر– ١٩٢٦م: ٣/٣٦٤.

93. الأديم: الجلد.

94. البوائق: الشرور . تفتق: تنشق عن ثمرها.

95. تاريخ الطبري: ٤/٤٢٤ . ديوان حسان بن ثابت:ص ,٦٨

96. في الديوان: اتركتم غزو الدروب وجئتم لقتال قوم عند قبر محمد.

97. في الديوان: فلبئس هدي الصالحين.... ولبئس فعل الجاهل....

98. في الديوان: بدت تنحّر.

99. ديوان حسان بن ثابت: ,٦٨

100. تاريخ الطبري: /,٤٢٦

101. ديوان حميد بن ثور الهلالي: ٧٤ . ,٧٥

102. الهدايا: هنا ما يهدي إلى الحرم من النعم، المشاعر مفرومها مشعر: هي مواضع مناسك الحج والنسك الذبيحة، والعبادة.

103 . النيب: الراجع إلى الله تعالى، التائب . مبتهل: متضرع مخلص في تضرعه . يترك يخل بتلاوة الكتاب.

104 . اظعنت: ذهب مقر الخلافة من بلدهم إلى بلد آخر.

105 . المحرمة: ما لا يحل انتهاكه . هتكوا: قطعوا وطرقوا.

106 . المعتر: موضع العراك أي القتال.

107 . هو حبان بن قيس بن عبد الله بن وحوح بن ربيعة بن جعده بن كعب بن عامر وقد سمي النابغة لأنه قام مدة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله . وهو من مخضرمي الجاهلية والإسلامي وقد عُمرّ طويلاً حتى جاوز المئة عام. الأغاني: ١/٥ – ٣٤. الشعر والشعراء: ٢٩٥. ٣٠٢. المؤتلف والمختلف: الدارقطني: تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر – دار الغرب الإسلامي – ط١ – ١٩٨٦: ص٢٩٣. معجم الشعراء: ص٣٢١.

108 . ديوان النابغة الجعدي: ١١٨ . ,١٢٠

109 . عيَّ: تعب، اللب: العقل.

110 . شرب الدهر وأكل: هنا بمعنى: كل الناس بعدهم وشربوا.

111 . الخسار: الخسارة: الأجل: الوقت المحدد.

112 . برك لاجمل: صدره الذي يلاصق الأرض . الفل . المنهزم.

113 . الطرب: خفة تعتري الرء من حزن وسرور، الواله: الذي ذهب عقله أو كاد . المتبل: الفاقد عقله أو أحد أعضائه.

114 . أنشد: أبغى، أطلب: أسأل الناس فلا يدلني عليهم أحد.

115 . تجلى الأمر: انكشف على حقيقته . الأجل: الأعظم.

116 . الجمل وصفين: وقعتان خاضهما علي بن أبي طالب (عليه السلام).

117 . ابن عفان: الخليفة عثمان بن عفان الحنيف: المسلم الذي يميل إلى الحق والذي على ملة إبراهيم عليه السلام، البدن: النوق التي تنحر بمكة . النقل: هو نقل لحوم هذه النوق إلى البيوت لتؤكل.

118 . الوجل: الخوف والحذر.

119 . السيما: العلامة المميزة.

120 . البيان والتبيين: ٣١/٢ . سيرة ابن هشام: ٢٥٠/٤. العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة . دار الكتب العلمية . بيروت . ط١. ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م: ٥٧,/٤

121 . هي أروى بنت الحارث بن عبب المطلب القرشية، كان مقامها في المدينة وعاشت إلى أيام معاوية بن أبي سفيان، فصيحة وجريئة، توفيت عام خمسين للهجرة. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: بشير يموت: تحقيق عبد القادر محمد مايو . دار القلم العربي . ط١ . ١٩٩٨م: ص ١٩٩ . ٢٠٠,

122 . المصدر نفسه والصفحات نفسها.

123 . اسعدينا: اسعفينا بالدمع.

124 . رزينا: أصلها رزئنا من الرزء وهو المصيبة.

125 . المثاني: فاتحة الكتاب . المئين: آيات القرآن العديدة التي تبلغ المئات.

126 . الشهر الحرام: هنا رمضان حيث قتل علي عليه السلام فيه . طراً جميعاً.

127 . ديوان أبي الأسود الدؤلي: ٧١ . ٧٢ الأغاني: ٣٢٩/١٢ . تاريخ الطبري ١١٦,/٤

128 . خيسها: ذلّلها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي: تقديم وتحقيق بدوي طبانة . مكتبه كرياطه فوترا . سماراغ . إندونيسيا . (د. ط ود. ت).

٢. الأدب العربي : العصر الإسلامي: شوقي ضيف . دار المعارف . مصر . ط٥ . ١٩٧١
٣. الإصابة في معرفة الصحابة: ابن حجر أحمد بن علي الشافعي: تحقيق عادل أحمد عبد الموجود . علي محمد معوض . دار الكتب العلمية . بيروت . ط١ . ١٤١٥هـ.
٤. الأغاني: أبو الفرج علي بن الحسين القرشي الأصبهاني: تحقيق: خليل محي الدين طبعة . دار الكتب المصرية . ط٢. ١٩٦٧م.
٥. الاغتراب: ريتشارد شاخت: ترجمة كامل يوسف حسين . دار شرقيات للنشر والتوزيع . مصر . القاهرة . ط٢ . ١٩٩٦م.
٦. الاغتراب في الشعر الأندلسي عصري الطوائف والمرابطين لحنان أمين حيرب . رسالة دكتوراه . دمشق .١٩٩٧م.
٧. الاغتراب في الفلسفة المعاصرة مجاهد عبد المنعم مجاهد . دار سعد الدين . سورية . دمشق . ط١ . ١٩٨٥م.
٨. الإنسان والاغتراب مجاهد عبد المنعم مجاهد . مكتبة المتنبي للطباعة والنشر والتوزيع . الأردن . إربد . ط١ .١٩٩٨م.
٩. البيان والتبيين: عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ: تحقيق حسن السندوبي . مصر. ط١. ١٩٢٦م.
١٠. تاريخ الطبري: مراجعة وتصحيح وضبط نخبة من العلماء الأجلاء: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت . ط٤ . ١٩٨٣م.
١١. التطور والتجديد في الشعر الأموي: شوقى ضيف: دار المعارف . مصر . ط ٨ منقحة . ١٩٨٧م.
١٢. تهذيب سيرة ابن هشام: تهذيب: عبد السلام هارون: مؤسسة الرسالة . دار البحوث العلمية . الكويت . ط١٤. ١٩٨٥م.
١٣. ديوان أبي الأسود الدؤلي لأبي سعيد الحسن السكري. تحقيق :محمد حسن آل ياسين . دار وكتبة الهلال . ط٢ . ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

١٤. ديوان تميم بن أبي مقبل: تحقيق عزة حسن . دار الشرق العربي . حلب . سوريا . ط٢. ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

١٥. ديوان الحطيئة: برواية وشرح ابن السكّيت . تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه – مكتبة الخانجي – القاهرة – (د.ط) . ١٩٨٧

١٦. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري: تحقيق دكتور سيد حنفي حسنين . دار المعارف . القاهرة – ط٢ – ١٩٨٣م.

١٧. ديوان حميد بن ثور الهلالي: تأليف: محمود فاروق وعبد الله عيسى وياغي هاشم . الجامعة الأردنية. (د.ط) – ١٩٩٢م.

١٨. ديوان عبد الله بن الزبعري: شعر عبد الله بن الزبعرى، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري . مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٢ – ١٩٨١م.

١٩. ديوان كعب بن زهير: شرح ديوان كعب بن زهير. صنعه أبي سعيد السكري . مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة – (د.ط) ١٩٥٠.

٢٠. ديوان النابغة الجعدي: جمعه وقدّم له عبد العزيز رباح . منشورات المكتب الإسلامي – دمشق (د.ط) – ١٩٦٤م.

٢١. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: بشير يموت: تحقيق عبد القادر محمد مايو . دار القلم العربي . ط١ . ١٩٩٨م.

٢٢. الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: تحقيق أحمد محمد شاكر . دار المعارف – ط٢ – (د.ت).

٢٣. صفوة التفاسير: سماحة الشيخ محمد علي الصابوني: جامعة الملك عبد العزيز . دار الصابوني – (د. ط و د . ت).

٢٤. صحيح مسلم : مسلم بن حجاج: تحقيق نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة . دار طيبة – ط١ – ٢٠٠٦م.

٢٥. طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي: تحقيق محمود محمد شاكر – دار المدني – جدة – (د.ط) – ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

٢٦. العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة – دار الكتب العلمية – بيروت . ط١ – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.

٢٧. الكامل في التاريخ: عز الدين ابن الأثير – دار صادر ودار بيروت . بيروت – لبنان – (د. ط) – ١٩٦٦م.

٢٨. كتاب التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول: الشيخ منصور علي ناصف – دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر – (د. ط) – ١٩٣٥م.

٢٩. لسان العرب: ابن منظور – تحقيق محمد بن مكرم – دار صادر. بيروت – ط١ – ((من دون تاريخ)).

٣٠. المؤتلف والمختلف: الدارقطني: تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر. دار الغرب الإسلامي – ط١ – ١٩٨٦م.

٣١. معجم البلدان: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – (د.ط) – ١٩٧٩م.

٣٢. المقدمات الكلاسيكية مفهوم الاغتراب: فالح عبد الجبار. مؤسسة عيبال للدراسات والنشر – نيقوسيا – ط١ – ١٩٩١م.

٣٣. الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: تحقيق : أمير علي مهنا . علي حسن فاعور – دار المعرفة – ط٣ – ١٩٩٣م.

٣٤. منتهى الطلب من أشعار العرب: محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون: تحقيق د. محمد نبيل طريفي . بيروت – دار صادر – ط١ – ١٩٩٩م.